

808, 883

ابو

CP

۱ - محمد - ۲۱ کرا ۲  
۲ - احمد - ۱۱ کرا ۲

الطبعة الأولى ١٩٤٢

# صحافة الحياة

مذكرات السيد أبو البرحم محمد

الهيئة العامة للتعليم العالي

لناشرها

808.883

رقم التسجيل

٢٠٠٠

٩٦٠

رقم الترخيص



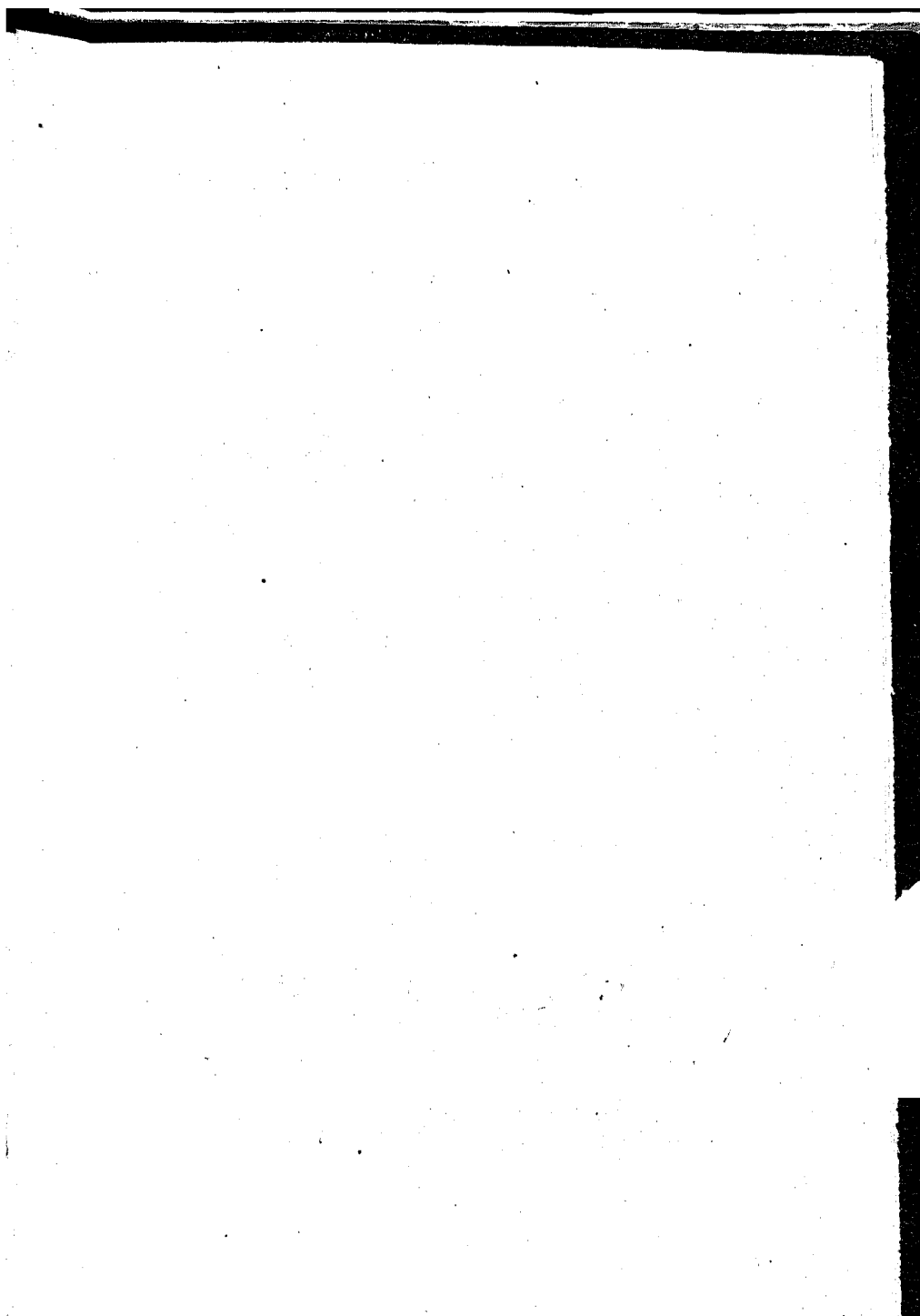
المدرس بمدرسة فاروق الثانوية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى — يناير سنة ١٩٤٢

General Secretariat of the Ministry  
of Education (Cairo, Egypt)

مطبعة الشعب للنشر والتوزيع



## مقدمة الناشر

عثرت على أوراق كانت عند أحد باعة الكتب القديمة  
فلمحت فيها كلمات قرأت بعضها فساقني ذلك إلى قراءة  
ما يليها ثم ما زلت حتى انتهيت إلى آخرها فتدبست نفسي  
طويلا وشعرت في نفسي بألم لذيذ وقد يكون الألم لذيذا  
إذا صادف في النفس معنى خفيا لا يستطيع الإفصاح عنه  
واني رأيت أن انشر تلك الكلمات كما وجدتتها ولا ادعي  
للقارئ أنها عمل كبير ولا أنها تستحق منه الإعجاب أو  
الإكبار فما أقصد إلا أن يشعر من يقرأها بمثل ما شعرت  
به وحسبي منه أن يتنفس نفسا طويلا وأن تتبلل عيناه كما  
تدبست وتبللت عيناي رثاء لضحية من ضحايا المجتمع - فان  
كان ذلك فاخرت بأني نقلت إلى الناس قولاً يحرك نفوسهم  
وإلا كان واجبا على أن اعتذر عن اعصابي الضعيفة .  
وقد كان في عزم رجل قبلي أن ينشر هذه الكلمات

ولا ادري علة قعوده عن عزمه وكذلك لا اعلم كيف وصات  
 هذه الاوراق الى بائع السكتب الذى وجدتها عنده. فلعل  
 الدهر قد قلب مرة على الثانى كما عصف بصاحبه فافانت.  
 تلك الاوراق الى حيث عثرت عليها واني ذا كر للقارىء  
 مقدمة كتبها ذلك الرجل الذى لم يتم غرضه  
 محمد فريد ابو حديد





## مقدمة المجهول

الذى آلت اليه الأوراق

سأجهد أن اخرج هذه الأوراق كما تركها صديقي  
المرحوم محمد حتى إذا كان للناس قلب يتألم أو نفس ترحم  
تألموا ورحموا . كم فى العالم من اشقياء لا ذنب لهم فى شقائهم  
وانما هي جريمة النظام الفاسد الذى يسود على العالم فيجعل  
نصيب بعض الحرمان ونصيب بعض البطر والاغراق وكم  
بين الخلق من ضحايا ذهبوا بعد حياة كلها بؤس وشدة  
إذ عجزوا عن الفوز فى نضال الحياة - ذلك النضال الذى  
يفوز فيه الظالم والغاصب والجامد فى أيام ينعتونها بأنها  
أيام تقدم وحضاره .

لقد بدالى أن الحياة حقيرة وأن نظامها فاسد وان على  
عقول اهلها غشاوة من العادات والعقائد والأوهام - لقد  
بدالى ذلك بعد أن ذهب من العالم صديق كنت أحسن  
الظن بالحياة من أجله ورأيت نفسى وحيداً فى صحراء جرداء

تجردت من زخرفها وانكشف عنها غطاؤها المموه .

إن قلبي دام ولا أريد أن اتكلم ويزيدني كرها في الكلام انى لا ارجو لما حول الناس من الفساد صلاحا سريعا لأن جذوره أبعد أصلا وأشد بأسا من أن يقلعها صراخ ولوعلا ولكنى لا أستطيع أن اكتم عن الناس صرخات صديقى المرحوم - تلك الصرخات التى لا أقرؤها إلا بزفرة نائرة ودمعة متناثرة وصدر ضيق وفكر مضطرب

لقد مات صديقى ضحية فالى رحمة الله - بعد أن كتب تلك الكلمات فى آخر مدة من حياته كلما أجهدته الهم بين يوم وآخر ولعل الله يجعل فى أجلى مهلة حتى أنشرها فيرثى البائس الحى لصاحب فائت ويرى المنعم اليوم صورة من حياة أخ شقى هلك بالأمس فى شقائه ما

فهم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اول يناير . كان يجب الا ينزل البرد في بلد به فقراء لو كانت الطبيعة عادلة . لقد كنت اسمع الناس فيما مضى يقولون ان الشتاء خير من سائر فصول السنة وكنت وافقهم على ما يقولون اذ كنت لا اشعر بمثل ما اشعر به اليوم . فان الشتاء انما يلذ فيه السكون والدفء وهو فصل المنازل السعيدة والسمر العائلي المرح والاجتماع الهنيء فاذا لم يكن كذلك ذهبت حلاوته وبقي منه البرد والريح والمطر والظلام . هذه ثياب امي المحبوبة لم تتغير منذ الصيف الغابر . وهما هي راقدة على فراشها البارد تسعل سعالا شديداً . والماء ان قلبي يتمزق كلما اسمع ذلك السعال يختلجها كذلك . أواه ! وكيف أنت الان أيتها الأخت المسكينة في منزل جدتك . هل تسعين كذلك وترتجفين من البرد مثل أمي ؟ انى أبصر وقلبي يحس ولكن كيف السبيل الى غير ذلك وما حيلتي . أنا لا أزال طالبا لا اصلح لعمل . ووالدى

لا يستطيع ان يرسل لنا اكثر مما يرسل وأنا عالم بذلك العجز منه فلا أقدر أن أطلبه بما لا طاقة له به وهبني طابته فكيف يجب - إن البرد يرجفني انا كذلك ولكن ليس هذا بشيء فياليت كل البرد ينزل بي وتذهب مابي من حرارة الى ذلك الجسم المرتجف جسم أمي فأنا أقوى منها على الاحتمال. إنها تحاول إخفاء المها غنى ولكن اني لها ذلك والضعف يبدو برغمها . سأعالج النوم برغم كل ذلك ولعاني يستطيع فأنسى ذلك البؤس ولولاعات .

٥ يناير - عصفت الريح امس ليلا واشتد نزول المطر  
ولعن الله النوافذ المكسورة والسقوف المثقوبة - اننا لم نستطع النوم وقضينا الليل بين محاولة رتق فتوق وتجهيف سيول . الامتى يمضى ذلك القر الشديد ويحل فصل المساكين فصل الضيف . يقولون انه فصل مكروه تهرق النفوس من حرد وتنتشر الامراض في هوائه وتمرض الصدور من غباره - وهل ذلك عيب فيه ؟ إن من قال ذلك نسي أن أسعد يوم يطلع على العالم هو اليوم الذى يحتاج فيه الداء زمرة الفقراء البؤساء فيطهر العالم من داء وبيل - لا بل

استغفر الله انه اليوم الذى يستريح فيه اكبر عدد من الناس  
 من عناء تلك الحياة وهل الفقراء الا اغلب الخلق؟ إلتى  
 أعجب من تقسيم الحظوظ فى ذلك العالم ولا أدرى السرفيه  
 فكيف يذهب الأقل من الناس عدداً بخير الارض ويترك  
 العامة الدهماء فضلات مايلقى من الطعام وسؤر مايعاف  
 من الشراب. هل هناك كل ذلك الفرق بين قدرة بعض  
 الخلق وقدرة البعض الآخر أم بين ذكاء وذكاء؟ لابل اظن  
 أن سبب ذلك الفرق بين الناس هو أن بعضهم قانع كريم  
 وأن البعض الآخر شره تواق.

ولكن لم كل هذا التفكير الأسود؟ لقد قال لى رجل  
 فقير من اخوانى حكمة يجب ان اذكرها دائماً اذا استطعت  
 وهذه الحكمة هى ان انظر دائماً الى من هم اسوأ منى حظاً.  
 فان فى الناس من يعدنى سعيداً.

١٢ يناير. لا يمكن ان ابقى كذلك ابداً. هأنا شاب  
 قوى اشكو كائنى فتاة ضعيفة أو شيخ عاجز. أأبقى على  
 ألى ولا احرك يدى لعمل؟ وهل ألوم الحظ واسخط على  
 العالم عندما ارى امى تئن من مرضها مع انى جدير بأن

أستخط على نفسي أولاً؟ ما الذى يربطنى حتى لا أعمل على تخفيف ما أنا به من الشقاء؟ انى أقدر على قطع الحجر من الجبال وعلى أن أفلاح الأرض كائى رجل آخر من العملة ولكنى مع ذلك أقعد ساكننا رجاء المستقبل - ويل لنفسى من ذلك الطمع الجاهل. اتى كلما ابصرت قوما يعملون وجبينهم يتصبب عرقا شعرت بحجل عظيم اذ يتضح لى الفرق الكبير بين نفوسهم الكبيرة ونفسى الحقيرة، فانى مثل الشحيح الذى يقضى عمره فى الجمع مخافة الفقر ولا يجد يوماً ما يجعله يقول قد اكتفيت. الا تعساً للمدينة التى تسبب تلك القيود فتذل النفس بها. ان العامل الذى يعود الى ابنائه فى المساء يحمل حزمة من الفجل اكرم منى نفسا واسعد قلبا لانه سعى واتى لأهله بما قددر له بعد السعى طاقتة على حين اتى ألوم كل شئ، واقعد عاجزا لا احسن الا الصراخ.

١٥ يناير. لا تريد اى سماع فكري ولا تحب أن استسلم لتلك الخيالات - فهى مصرّة على أن ابقى فى المدرسة حتى أتم دراستى فأخرج غير مستعجل الى أمل فسيح ولكنى لا أقدر أن اظل كذلك على ما أنا فيه هذه السنين المقبلة وهى

طويلة في نظري طول قرون . وإن عزمي ثابت لن يزعه -  
حد حتى ولا أُمي .

لقد قضيت طول ليلة الأُمس باكيا لم يطاوعني النوم  
حين طلبته - واحد الله اذ شئني ديوان شعر  
اشتريته من زمن افزع اليه إذا افعمت الكأس وزاد  
بي الاسى فأجد فيه - لموى لا أجدها في كلام أحدهم -  
الناس - اللهم الاصديقي فهمي وأين هو مني . إني لا اراه -  
الآن الانادرا .

١٦ يناير - ماهذه القيود التي ازعجتها تقيدني؟ ما فائدة -  
هذه اليد وهذه الرجل وذلك الراس؟ يجب ألا لوم أحدا  
غير نفسي إذا أنا لم أستفد بما وهبني الله من قوى وهل خلق  
الله هذه الاعضاء الا للعمل والسكد والسعي الى الرزق -  
أنا اعتذر عن نفسي بأنني لا أستطيع الدخول الى الميدان الآن -  
ولكنني اعتل بعزل العاجزين . فان الإنسان لا بد أن  
يسعى وإذا سعى وخاب عن العمل الشريف رغم محاولته -  
فانني ابرر ان يقصد الى غير الشريف فلا لوم عندي -  
على السارق الذي اندفع بعد العجز الى السرقة ليقوت أهله -

لا بل انى أقول اكثر من هذا - أقول إن النفس الكبيرة  
إذا وقعت في شقاء لم تجره هي على صاحبها ثم عجزت عن  
العمل الشريف بعد محاولته لوقوف المجتمع القاسى في سبيلها  
وجب عليها الذهاب الى ابعاد الغايات ، الى الاجرام البشع ،  
والنهب المحرم ، وهل هذا الا دفع عن النفس ؟ إن المجتمع  
يحاول قتلها فلا بد أن تدافع عن حياتها فيجب ألا تموت  
مادام في العالم زاد يمكن اقتسامه . إن الاسد يفترس قوته  
غصبا وفتكا فلم لا يصير البائس كالأسد غاصبا فاتكا - أما  
بأننا خير لدى أن اكون كذلك من أن يقال في إذامت إني  
مسكين قضيت اذ عجزت عن التماس الرزق .

٢٠ يناير . لقد زاد الحال على قدر الاحتمال وأرى جدران  
بيتى هذا المظلم ضيقة على نفسى واجد البرد فيه اقصى من البرد  
المعتاد . وكأني أبصر قوما في هذه الساعة جلوساً في منزل كسته  
الرياش فغطت ارضه الحجرية الباردة وعليهم من الملابس  
ما يكسو الجسم فيقيه وخز هذا البرد القارس فاذا ما أقبل  
الليل كانت لهم سرر وثيرة الفراش يهنأ بها النوم ويولد . ولكنى  
بعد ذلك التخييل ارجع لنفسى فاجدنى في ارض مكشوفة



وثياب بالية وفراش بئس ما يفتش - اننى اضحك برغمى  
 وأنا فى تلك الحال لأننى تذكرت قول اخى الأعرابي الجلف -  
 اذ يقول وهو يشكو ظلم الحظوظ  
 تركت عيالى لافوا كه عندهم

وعند ابن عمرو سكر وزيب  
 حقا انى أغبط قوما يجدون السكر والزيب واعد ذلك -  
 نعيما - انها ضحكة اضحكها ولكنها لا تبسط انقباضا بل هى -  
 باردة كهذا الشتاء تذهب بالنفس - انها ضحكة اليأس -  
٢٣ يناير - اليوم صحو وهو من الأيام النادرة فى هذه  
 الشهور - إن الحرارة حياة فأقبل ايها الحر رحمة بأمثالنا -  
 لقد مر على الناس وقت كانوا فيه أكثر تسييحاً لله وذكر  
 لنعمه وفضله - إن قدماء المصريين عندما قدسوا الشمس  
 لم يعملوا أكثر من أن يسجدوا اقرارا بنعمة الخالق الجليل -  
 ولكن عقابهم لم يدرك أن بعد الشمس إله -  
 إن الإنسان لا يستطيع ان يشعر بمقدار فضل الله  
 عليه شعورا اعمق من شعوره بذلك اذا رأى الشمس طالعة -  
 فإنه عند ذلك يرى فضل الله محسوسا .

ما أجمل السماء الصافية والريح الهادئة في هذا السكون  
 الذي يحيط بي في هذه الحديقة وإن الحقيقة لتظهر للإنسان  
 مجردة في مثل هذا الوقت الذي لا يشغل ذهن فيه شاغل  
 وتكون فيه النفس منصرفة عن التفكير في الحياة ومظالمها.  
 ها أنا أرى شيخا كبيرا تقوده ابنة لعلها حفيدته وهو ينادي  
 طالبا إليها أن تسقيه فأسرعت إليه مارة على وانا جالس  
 فتبينت وجهها فاذا هو جميل التقسيم فلها عينان سوداوان  
 لكنهما غائرتان في عجريهما ووجهها صافي البشرة ولكنه  
 أصفر باهت وانفها مستقيم جميل وفها مليح ولكنه منقبض  
 قبضة تدل على تفكير قبل أو أن العقل - حقانها فتاة مليحة  
 لولا صدا الفقر الذي يعلوها - ماذا جنت هذه الفتاة حتى تنشأ  
 نشأتها تلك ؟ فإن كل مظاهرها تدل على قوة ولو صح أن الفقر  
 نتيجة ضعف لكانت هذه الفتاة من أضعف الفتيات وليكن  
 هذه مغالطة دبرها انصار الشره والدناءة ارباب الغنى - أنهم  
 يقولون ان الغنى ما اغتنى إلا لقوة فيه وان الفقير ما افتقر  
 إلا لضعف عنده - ما أغرب قولهم هذا ؛ ولكن لا  
 انهم صادقون غير أنه يجب قبل تصديقهم أن نفهم معنى

ما يسمونه الضعف وما يسمونه القوة .

أنتالو فهمنا من هو القوى في عرفهم لعرفنا انه ذلك  
الجامد الشره الوقح البخيل القاسى الذى لا يتردد امام شىء  
فى جمع ماله . وان الضعيف هو ذلك المتواضع الشفيق الكريم  
الذى لا يرى فى العالم شيئاً أعظم من الحب والايثار .

٢٥ يناير - عاد السعال لأشى اشد مما كان وقد زاد  
الى ضيق المنزل الذى انا فيه فهو مظلم ونفسى تحب النور  
وهو بارد وانا احب الحرارة وهو اؤده راكد وصدرى لا يعتلى  
الا من الريح الثائرة وهو ضيق وروحى لا يسمعه الا الفضاء  
الفسيح - ما احب الفضاء وهواءه وشمسه ونجومه ! انى لو  
كنت فى العالم وحدى لما ضقت بحياتى - بل لوجدت فى  
شدتها شيئاً من اللذة لأن الانتصار على المشقة نوع من  
دلائل الحياة وكل ما يدل على الحياة لذيذ . ولكنى مثقل  
بهموم من أجل من احب . حقاً انهم لا يظهرون لى المداغير  
انى لا انسى آلامهم لحظة - فهى تحت نظرى ما صحو  
وهى مخاوف احلامي اذا نمت .

٢٨ يناير - ما احب ذلك المنظر الجميل ! نحن فى الشتاء

ولكن هاهو الزهر منشور يانع في حدائق الجزيرة كأنه  
نحن في ربيع - أى بلادى انك نعم الوطن . ما أحب ذلك  
القطر المتساقط على وجهى الآن فهو مثل كف رطيب  
يمسح جبني المتقد - اليس هذا القطر بنائك يامصر ؟ - وهل  
هذا الريح الذي يهب على صفحة وجهى غير انفاسك الحلوة ؟  
انني لا يتم لي عيش حتى اشعر بكل ما فيك من حر وبرد  
وحتى اذوق من كل مطعمو ماتك التي تقدمين واشم من كل  
ما ينبت فيك وإن عاما لا اشرب فيه من ماء نيلك العكر  
اولا اتنفس فيه من هواء خماسينك الحار لعام ناقص مبتور .  
اي بلادى اني اكاد اغفر لمن ظلمني من اجلك لأنك امناء  
جميعا .

٢ فبراير - حدثتني نفسي غير مرة في هذين اليومين .  
بأن اهلك نفسي . ولكن مهلا ايها القلب النزق الذي  
لا يفكر . هبني قتلت نفسي . يا لها من محبة لنفسى اذ اخرجها  
من الحياة تاركا ورائي قلوبا تتحرق ولا تستطيع أن تلحق بي .  
حقا أن الذي يقتل نفسه مجرم ولكنى ارى في إجرامه غير  
ما يرى الناس . فأنهم يقولون انه مجرم نحو نفسه وانا اقول انه

قد عمى في حب نفسه عن المغيره وان اجرامه واقع على من  
يبقون في الحياة بعده ممن يحبونه او يعتمدون عليه . ليتنى  
كنت وحيدا ! فأنى كنت استطيع عند ذلك أن اعمل  
مابدا لى ، وأما الآن فلا أقدر على شئ حتى الموت الذى  
أستطيعه لا أمالكه ، ولهذا فلا ترك هذه الافكار السوداء  
وان العالم لا يزال به من الجمال ما يساعد على ان أنسى ما  
أنا فيه من شقاء ، هذا نوار اللبلاب وزهر الفول فبشرى  
بالربيع الاول ، وها هو الربيع أبصره فى العود ، وقد جرى  
فيه الماء ، وأراه فى الهواء ، وقد قل برده ، واره فى الشمس  
وقد زادت نورا - يذ كرنى الربيع بأيام مضت - فأذ كر  
مدينة (دسوانس) إذ كنت صبيا فى صفاء وسعة ، أجرى مع  
اخى المحبوبة - أو اه كيف انت الآن ايتها الحبيبة - نعم انها  
صديقة صباى كانت معى وكنا نجرى كصغار المعز نثب من  
مكان إلى آخر وننتقل بين الحقول اليانعة تحت ظل شجر السنط  
إلى جوار التربة حتى اذا حان وقت الغداء ذهبنا الى الدار  
لنلقى وجوها ضاحكة وقلوبا محبة . لقد مر ذلك العهد ولم يبق  
الا ذكرد وشتان بين حال كنت فيها وحال أنا غريق بها

فقد كنت خليا ، وانا الآن شجى ، وكنت احيا واتنعم بحياتي  
 وحرارتي واتلذذ بما يقع تحت حسى ، وانا الآن أفكر ولا  
 احس بنعيم الا من الفكر والذكرى . وانا الآن فى ظامة ، وكنت  
 حينذاك فى نور لا أرمى بعينى الا الى النور . وقد كانت الآمال  
 فسيحة أمامى لا أكاد أشعر بقيد يمنعنى من السعادة ، وها  
 انا لا أجد فى نفسى أملا .

أواه ! أننى احببت أن أنقل بالفكر من وساوس  
 سودائى فاذا بى ارجع اليها برغمى — ان الشقى لا يستطيع  
 أن ينسى شقاءه ولو حاول .

٥ فبراير . لقد عاد البرد اشد مما كان واحسرتاه !

وقد سادت الظامة على الأرض مرة ثانية وانطبعت فى نفسى  
 وكأنى بها مرآة تنعكس فيها احوال الطبيعة ولا تخطئ .

ما اضيق العيش رغم ما اعلل به النفس من الاوهام  
 فان كل ما قوله وانا بين الرياض آت عن الخيال لا عن الحقيقة —  
 وها هى الحقيقة الجاهمة امامى — إن أول شئ فى السعادة  
 أن يكون الانسان قادرا على العيش وهذا ما ليس لى .  
 رحماك يا بى فكأنى بك قد رميتنى وامى واخى . ولكن ما

أقسى قلبى اذ أقول ذلك عن أبى ! أقول رمانى وانا اعلم انه اضطر الى ذلك اضطرارا ؟ انه جسد منى ان أتكم كذلك عن والدى — اصل حياتى .... ها ، ها ، ها ! إننى اضحك من نفسى . أقول « أصل حياتى » وهل هذه منة أو هى جناية ؟ لعن الله الفقر أنه كافر فلا أدع ذكر هذا ولا بك حتى أنام عن تلك المواجهات المؤلمة .

٦ فبراير . ارسات لوالدى خطابا أسأله فيه عن رأيه فى تركى المدرسة لكي اعمل على القيام بواجب أهلى الى جانبه ولكنه ارسل اليوم الى يقول لى انه يغضب على لو فعلت . ولكنى ساعصى — عفا الله عني . وعفوا لى يا أبى . سأعصاك إذ لا أستطيع ان أتحمل سكوتى .

١٢ فبراير . زرنا اليوم المتحف المصرى انا وجماعة من أصدقاءئى وبينهم جماعة ممن درسوا تاريخ مصر القديمة درسا وافيا . وقد اخذوا يتناقشون فى عصور تلك الآثار ويقارنون بين بعضها وبعض من جهة الصناعة والجمال والقيمة . أما انا فمدخلت الى ذلك المكان وكأنى فى حلم لا ينقطع . فلم التفت الى شىء بعينه ولم انصت الى قصة أثر ولا الى شكل

تمثال فان معنى أخذنا بالنفس استولى على عقلى - فكأنى بدهور  
مضت قد تمثلت جميعها امامى صالحة ( كذا ) - لقد كان  
الناس ثم زالوا ونحن الآن كائنون ثم سنزول .

وقفت بجانب جنة رمسيس الا كبر . وكأنى به يتنفس .  
ثم تصورته اذ كان شابا تملؤه قوة الشباب وهو على جيش  
كبير يقوده للشام حتى اذا ما أتم حربه عاد الى بلاده وقد  
أزينت وخر الناس عند لقياءه الى الذقون . ثم تصورته وهو  
فى قصره بين خدمه واهله تنتظر عيونهم اشارة منه ليسرعوا  
الى تلبية ما يريد به ربهم . وكم من نظرة له سببت موتا وكم  
من ابتسامة من فمه تطاحن عليها المتنافسون ! ثم تصورته  
وهو فى موكبه العظيم والناس ينظرون اليه ، ولا يجسرون  
على الاقتراب منه . ثم تصورته وقد مات وتخيلى المنطين  
الى جانبه بايديهم السوداء حتى اسكأنى كنت اراهم يسجون  
ويدهنون . ثم تصورت جنازته ولحده بين اناشيد وبحور  
ورسوم وفيما أنا فى ذلك اذ صحت عندما دعانى صديق للسير  
الى مكان آخر فنظرت فرأيت أن ليس أمامى إلا جنة بالية فى  
بيت من الزجاج أنظر اليها ثم أسير ويجبى غيرى فيرميها كذلك



ثم يمتضى عنها . وهكذا الدهور تمضى وهكذا الأحوال تحول .  
وهكذا يظن الناس أنهم ملكوا الأرض فاذا هم زائلون وإذا  
هي باقية - حقاً إن من فكر في الحياة وجدها هينة حقيرة خادعة .  
٢٠ فبراير . لم يظهر الى الآن شيء يجعلنى آمل فى  
وجود عمل أستطيع أن احصل منه على كسب . وقد  
ارسل لى والدى امس جواباً لمحت بين سطورهِ الما خفياً  
ولست ادرى ماذا جد .

يجب ألا افكر اليوم كثيراً فهذا الجو لطيف قد عاد  
الى الصفاء والجمال . وما أجمل الحقول اليوم ! فلا تترك كل  
شيء لا تخلص نفسك قليلاً فأعيش ولو ساعات خلصاً من العمر  
وما العيش إلا أن يترك الإنسان كل القيود الاجتماعية  
التي خالقها الناس ليشقوا بها . قد يعمر الإنسان سنين طويلة  
ولكنه لا يحيا فيها وذلك إذا كانت تلك السنين قد قضاها  
فى تفكير وسعى للمادة - فاذا أمكن الإنسان أن يعيش  
كل عمره لا يفكر فى المادة عاش ممتعاً بكل عمره . اريد أن  
اخرج وحدي الى الخلاء لكي افرج عن نفسي وذلك سعى  
لتخفيف آلامى الدفينة - ولكن ما أشد حبي لنفسي ! وماذا

تفعل أمى المسكينة وهي مريضه وماذا تفعل أختي  
الظلومة الجميلة وهي بعيدة عني ؟ لأحرمن نفسى تلك اللذة  
التي هممت بقنصها تحت نور السماء حتى اقلبه أمى وأختي  
المهما - ولا كنت اذا أنا فكرت في نفسى ونسيت  
من أحب :

٢١ فبراير . لقد ملكت الأنسانية على الإنسان  
حيوانيته فقد عزمت أن احيا وأخلى فكرى من مشاغله  
فلم أقدر فناأشقى الإنسان بما يسمونه رقيا وما أحسن  
النسيان وارفته بمثل - لأن الإنسان إذا لم يقدر على الخروج  
من انسانيته خروجاً كلياً كان النسيان هو الوسيلة الوحيدة  
لخلاصه من آلامه . فهلا دام النسيان !

لأفهم كيف يهنأ لفقير عيش إلا إذا كانت نفسه  
ضيقة مظامة ولكن نفسى تواقة الى الصفاء والأنطلاق  
والسعة وما أشقاها بما تنوق اليه - إن صاحب الفقر المعوز  
إنما يقدر أن يحيا إذا تمت فيه قوة واحدة وهي القدرة على  
الخضوع . وويل لمن لم تتم فيه تلك القوة فإنه يكون أشد  
المخلوقات تعاسه - مثلى .

٣ مارس . لقد تفتح الربيع وأطل من زهوره وغصونه  
وتردد في صوت الزرزور وجرى في عروق النبات . ألا  
يحل معه ربيع لهذا القلب الحكيم ؟

انا في انتظار خطاب والدى فالיום ثالث أيام الشهر  
ولم يرسل أبى ما اعتاد أن يرسله لى كل شهر ولعل في الغياب  
خييرا . أن الخيال ميال ابدا الى الوثوب والتفاؤل ولهذا  
أجذنى أخادع نفسى عن سبب ذلك الغياب وأقول لها لعل أبى  
قد وجد شغلا جديدا شغله عنا حينما وأن بعد ذلك الغياب  
سعة غير منتظرة . ومن يدري لعل الله أراد بنا خيرا بعد  
توالى الشدائد . أما أنا فقد ضاقت بوجهى وجوه الحيل  
وتبينت وحدتى في ذلك العالم إذ لا أجد من يسعى معى أو  
يقبل منى سعيًا . فلا أصبر ولعل الفرج آت من ناحية  
اخرى

٥ مارس . لليوم لم يرسل لى أبى خطابه الذى انتظره  
بصبر نافذ وقد بدأت اضرب واخذت خيالاتى اتجاها  
غير اتجاها الأول لأننى شعرت بالهوة التى تحت قدمى -  
بالهوة السحيقة التى تهددنى بالهلاك فى كل ساعة إذ لا شئ

لى ولا شئ لمن معى نستطيع به أن نعيش فاذا منع مانع ابى  
 من ارسال مساعدته الشهرية المعتادة لم أجدا امامى مستنداً  
 اتكىء عليه . فلا صناعة لى ولا تجارة ولا اقدر أن أ كسب  
 واحصل على القوت من عمل ما . فأنا عاجز كل العجز واذا  
 لم يسعفى ابى لم أجدا امامى إلا الاقتراض أو السؤال أو  
 النهب والسرقه . أما الاقتراض فن ذاققرضنى ؟ وأما السؤال  
 فلا كانت تلك الحياة الدليلة وأما النهب والسرقه فليس امامى  
 باب سواء . فلا حول ولا قوة إلا بالله : انه لم يبق يدنى وبين  
 الاجرام إلا مرتبة واحدة .

لأصرف الفكر عن تلك الهوة ولنزر الموت قبل ذلك  
 الوقوع ولـسكن إذا زار فلتكن زيارته لمن أحب معى . فهو  
 أهون حظ نلقاه جميعا .

مساء اليوم . جاءنى كتاب والدى الساعة وياليتيه ابطأ  
 حتى صباح الغد . فأن الليل مقبل وكيف تحمل ظلمة  
 الليل ووحشته مع ظلمة ما جاء بالخطاب ؟ لقد كنت فى  
 انتظار ذلك الكتاب قلقا ضجرا ولكنى الآن حائر يائس  
 وما مرارة الآ بعدها مرارة أعظم .

لقد كنت اندفع مع الأمل فتوقعت أن التأخر بشير  
بفرج مقبل تمكن فيه الحياة واقدر فيه على الكفاف ،  
ولكن ذهب الخطاب بكل أوهامي فأظهر لي أن تأخر أبي  
عن عذر لا عن شغل .

رحمك يا والدي : لقد كنت أقول اني أفضل الموت  
على السؤال أو الاقتراض وكنت أقول إن الاجرام أقرب  
الي من ذلك فكيف تريدني على السؤال لنفسى وابن معي  
ولك : أأقف امام خالى سائلا ؟ ما أمر تلك الحياة التي لا يجد  
الحى فيها القوت : إن مثلى ومثلك يا أبني ( عفا الله عنى )  
ومثل من معى - انا جميعا عاجزون عن البقاء فى نضال  
هذه الحياة فلنمت وليبق الذين يستطيعون البقاء فيها قادرين .  
لنمت جميعا وليبق اهل الطمع واهل القوة واهل الجود  
واهل السعى لأنهم يقدررون على البقاء فى النضال . لنمت !  
لنمت ! لنمت !

٦ مارس . للآن لم اعمل شيئا وأنا حائر بين الموت  
والذلة . نعم ولو كان الأمر قاصرا على تفضلت الأول ولا شك  
فان خالى لا يعلم للآن عنا إلا أننا نعيش مستقبين على ما يرسله

لنا والدي ولا يعرف ما نحن فيه من شدة فماذا تكون  
نظرته إلى ، وهو مثل الناس ، إذا علم ما نحن فيه من شقاء ؟  
وإني للآن لم أخبر أمي ولا أظن أنني سأخبرها خوفاً عليها .  
ربّ قوّنِي واهدني فاني لا أستطيع السير وحدي - وأبقِ  
اللهم على إيمان أضع به وأخاف أن تزعزعه تلك العواصف .  
كيف قسمت الحظوظ بين الناس إن كنت قسمتها  
لهم - إن الناس يلقون التبعة عليك يا مولاي تخلصا  
من تهيم ولكي يلقوا على عقول المحروم غشاء وفي يديه  
قيدا . هنا قوم يموتون جوعا وهناك قوم ينعمون وتمرضهم  
البطنة . وهل أنا وامثالي لا نستحق عندك إلا ما وهبت لنا ؟  
وهل بيننا وبين أهل اليسار والترف كل ذلك الفرق عندك ؟  
كأنني بقوم الآن يجردون الذبول على البسطة من صوف  
وحرير ويأكلون في ليلة ما لو جمعت فضلاته لكففت عائلتي  
المسكينة شهرا ويشربون ما إذا بيع سؤره لقام بقوت دهر  
لقوم يموتون على الطوى . ولكن ماذا يفيد صراخ  
والناس لا أمل في شفائهم ؛ ليتني أستطيع أن أخرج صرختي  
هذه فتهد صروحا قامت على زفرات البؤساء ومدامع اليتامى .

وعظام الصرعى ودم القتلى .

أواه ! فلا سكنت إذ لا أقدر على شيء .

٧ مارس . لم أذهب بعد إلى خالي (على) فلا أقم الآن .  
لقد كنت أقول إن المادة ليست بشيء . كنت أقول هذا  
وأنا سائر في الخيال وسط الطبيعة الساكنة . ولسكن هأنذا  
أرى أن الإنسان نفسه مادة وأن المادّة الكبرشيء في الوجود .  
إن الحقيقة شيء والخيال خيال - وكفى .

مساء اليوم . ذهبت إلى دار خالي (على) وصعدت على  
السلم ثم عدت ولم أقدر أن أكلمه في شيء - لأنني  
أخذت أردد لنفسى ما يحتمل أن يرد به على . فببه رفض أن  
يساعدنى مع علمي بقدرته - فإذا أكون قد جنيت ؟ اللهم  
الآن خسارة عظمى إذا كشف لي الحق عن خسة رجل من  
أهلى . ففضلت أن أبقى على الغطاء ولا أبصر ما تحته خوفاً  
أن تكون الحقيقة بشعة كما تعودت أن أراها . فلا ألتبس  
المساعدة من ناحية أخرى .

٩ مارس . سعيت وظهر لي ما لم أكن متحققاً منه مثل .  
تحتنى الآن وذلك أنى لا أصلح لعمل ما . وماذا أفادنى عمر .

قضيته في الدرس؟ إن هي إلا خيالات وأوهام يسمونها  
تربية ولعن الله تلك المدنية الكاذبة. أين لي أن أكون  
متوحشاً أعرف كيف أضرب بسيفي وأرمي بسهمي وأحصل  
بذلك على قوتي. مرحى للمدنية التي تعلم الشاب كيف يموت  
جوعاً!

وقد اتاني اليوم من أبي خطاب آخر يسألني عن علة  
إبطائي عليه وكم يوماً أبطأت؟. وبلى — فلا عزة مع حاجة  
ولو غالط الإنسان نفسه. وإذا كنت لا أقدر على العمل، فلم لا  
أنزل بالنفس على حكم الفقر والعجز؟

نعم اني لا احسن شيئاً — حتى السلب الذي اتحدث  
به — لا أحسنه بل لا أعرفه ولا أقدر عليه فهو يحتاج إلى  
نفس غير نفسي.

١٠ مارس. ما اليوم خيراً من الأمس وقد زاد الأمر  
شدة مرض أمي وازدياده. وقد شكوت إلى أخي (فهم)  
فاشار على أن أنتقل إلى منزل آخر — يشير على أن أذهب  
إلى منزل فيه الهواء طلق والشمس باسطة بساطها — أي  
أخي ان نفسي تتوق إلى مثل ذلك الذي تشير به ولكن



ما أظلم قيودي حفظك الله من مثلها .

مساء اليوم . عزمت بعد طول ترددى على مقابلة خالى  
(على) مهما كلفنى الامر وذهبت اليه اليوم — والحمد لله إذ مازال  
الخير فى الناس . وشكراً لك يا خالى . ما احسن بشاشتك !  
ذهبت الى خالى العزيز وأنا متردد لا اكاد أرفع عينى  
إلى ما حولى وكان معه جماعة لم أتبين وجوههم لما كنت فيه  
من الارتباك ثم هممت بالرجوع وفعلاً بدأت ارجع حتى  
وصات الى الباب وأنا اتعثر ولاكنى ذكرت الفشل وآخريته  
وتمثلت اهلى وقد احتاجوا الى قوت لا يجدونه وتمثلت أبى  
وكأنه يمد يده إلى طالباً أن أقف بجانبه . فعزمت على السير  
فى طابى ولو ضحيت بماء وجهى . لسكنى عند ما دخلت على  
خالى ورجوته فى كلمة لاحظ ارتباكى وترددى فاهل بي  
وهش الى حتى استأنست ثم تجرأت فهمست اليه بما أريد .  
فأسرع الى التلبية وكأن عينيه تعتذران عن انه لم يبادر بالجواب  
قبل السؤال .

إنك قد جعلتنى أحسن الظن بالناس قليلاً من أجلك .  
يا خالى العزيز ، فانا الآن أقول مازال الخير فى الناس . وجزاك

الله خيرا فلا اظن انى أقدر ان أجزيك .

١٢ مارس . زاد المرض بوالدتي وماذا استطيع ان اعمل  
وهاتيكي يداى مغلولتان وقد جاءنى اليوم ( فهديم ) وهويشير  
مرة اخرى بالانتقال من منزلى الى آخر . يشير على واعدته  
بالسعى ولكن لا اقدر على مصارحته بالحق . فهو لا يعرف -  
على انه صديق المخلص - لا يعرف ما أنا فيه من رقة الحال وأظنه  
لو علم الحق لا يعتقده . فلا أخاله يتصور أن صديقه الذى لم  
يشك اليه مرة ضيقاً من أشقى الناس وأشد هم يؤسأ .

١٨ مارس . جاءنى اليوم رد أبى يقول فيه :

« واءامك ان السبب الذى من أجله طلبت منك  
الاقتراض مع علمى بثقله على نفسك يا بنى ، ان عمك ، غفر  
الله له ، توقف عن الصرف معى هذين اليومين مع ما نحن  
فيه من حاجة إلى رى وعزيق . فيا بنى اشكر خالك نائباً  
عنى وقل له رب اخ لم تلده أمك . وأما انت فاعف عنى إذ وقفت  
بك موقفا كنت احرص على الا تقفه ولكن اظنك تلتمس لى  
الاعذار ، بدل الحق على . وحفظك الله وقواك يا بنى » .  
هاانا ارى الدهر يزداد عبوساً ولكن لا بأس . فلعمرى

أنه قبيح بالمرء أن ينحتى أمام النوازل ولا بد من العمل ولو  
 شق واستعصى السعى إليه في أول الأمر . انى كما تذكرت  
 أمى وأختى ذبت أسى فانهما يشقيان بضغفى . ولا تجدان ما  
 يجدا مناهما من العيش . وإنى كما تذكرت ذلك شعرت كأن  
 ماء مشاجرا نزل على قلبى فكاد يوقف حر كته وتأخذنى رعه  
 من رأسى إلى قدمى تكاد ترهق لها نفسى وأحس كأن  
 لهيبا يتقد ما بين عيني . إن حنقى على العالم أقل من حنقى  
 على نفسى اعجزها وعلى تربيتى أن تعلمنى صناعة واحدة —  
 صناعة الانكسار واليأس .

٢٠ مارس . انه السحر فى هذا الفضاء : أخرج اليه ونفسى  
 تتمزق لما وغما فما يلبث الحزن أن يذوب كما يذوب الضباب  
 أمام الشمس . فان تلك الانفاس التى كان ينفجر بها صدرى  
 استحال الى زفير عميق لا يمزق الصدر بل يروح عنه وهذا  
 الحزن السام من الذى ظل يتردد بين جنبى قد سال اليوم فى  
 تلك العبرات التى ذرفتها ، وتلك الحلى التى كانت تشتعل فى  
 جبينى قد ذهبت مع النسيم البارد فعدت بعد ذلك الى الشبات  
 والأمل ، وكل هذا دلالة قاطعة على أن المموم أعراض من

خلق الإنسان وليست طبائع جوهرية .

رأيت اليوم امرأة عمياء تجرها طفلة صغيرة بالية الشياب ،  
و كنت عند ذلك مهتمة لما أنا فيه - فتأملتها وهى سائرة مع  
تلك الفتاة ، وهى تنادى صارخة الى الله تطالب منه قوتاً ،  
وفى نداءها من الثقة بالله ما لم ترعزعه عواصف الفقر . هذان  
شبحان من اشباح الحياة وقفت انظر اليهما واعتبر ، فالتفت  
فيهما مازاد ألى ، وهنظر البؤساء عندى أجل ما يثير النفس  
ويبعث فيها الاسى لأنى أعرف ألم الخوف من يوم يطلع  
لايستطاع فيه الحصول على زاد . ثم اقبلتنا نحوى تسألانى  
عطاء مما أعطانى الله . نعم ، فانا من المنعمين فى نظرها ،  
فترددت أعطى مما أنا محتاج اليه ام أضن به ، ولكنى لم  
أتردد طويلاً والحمد لله اذ وجدتنى استطيع قوت يومى  
ومن يدرى لعل هتين الشقيتين تبيتان على الطوى لو لم  
أجد لهما بيعض مامعى

٢٤ مارس . لا ازال اجد راحة فى نفسى من أثر الايام  
الماضية التى قضيتها فى الهواء الطلق ، فلا ازال أذكر الليل  
البهيم الجليل ، والنجوم العالية تاعم به ، ولا ازال أتخيل النيل

وهو يموج مع النسيم، ويرتطم بالشاطئ، لا تقيد قیود،  
ولا ازال تصور تلك العوالم في علائها كأنها تنظر إلى أرضنا  
نظرة الكبير العارف إلى الطفل الجاهل وكأنني بها بتسم  
سخرية كلمات أهل الأرض كيف يتطاحنون على السفساف  
ويتقاتلون على أحقر الأشياء — ألم يقض الانسان دهره  
طويلا في نضال وعراك على معدن أصفر من معادن الارض  
لا يفترق عن سائر الاجسام إلا كما يختلف جسم عن آخر؟  
إنني كما أعدت انفسى تلك الصور ذهب غنى كثير من  
عناء هذا العالم واحتقرت الماديات التي احزن لحرمانى منها  
كل ذلك الحزن الذى يكاد أحيانا يذهب بنفسى — حقا ان  
السعادة تكون أقرب إلى النفس إذا تجرد الانسان من  
مشاغل المادة وخلص إلى الذات البسيطة لذات الحياة الطبيعية  
ومسرات الهواء الطلق . وقد رجعت في كل ليالى السالفة  
بعد هذه الخيالات فلم أستطع النوم فعمدت إلى الديوان  
الذى كنت اشتريته وأخذت أقرأ بعض ما به وحبذا هو  
من رفيق فإنه لا يترك شيئا أشعر به لا يصوره صورة  
واضحة جلية — وقد وجدت به قطعة صغيرة أعجبتني لأنها

توافق شعورا في نفسى وهأنا اثبتها هنا  
الأرض وضئاءة الجبين

والريح في رقة الحنين  
والشمس محجوبة وكادت

تصافح الافق باليمن  
والغيم أسرا به تهادى

ووشيا معجز الفنون  
فخمة الورد في اصفرار الـ

أقاح من فوق ياسمين  
والماء صاف له خير

كهمة السر في سكون  
والطير ما بين مستعيد

مرجع سجة الأين  
وبين جذلان نائر الله

وبين مياسة الفصون  
لمثل هذا الجمال سحر

يذيب من سورة الشجون  
\* \*

وبى من الهم ما تولى  
 ظلامه فى سواد قابى  
 سرى بمجرى العروق حتى  
 يضيق بالنفس كل رجب  
 أظل فى حيرة سقيما  
 وليس فى الخافقين طبى  
 حتى إذا ما شهدت هذا الـ  
 جمال يوما رأيت حسبي  
 تسيت فى ساعة شجونى  
 وعاد حيننا الى لبي  
 وأسفر القلب واستحال الـ  
 أمر من هممه لعذب  
 وليس هم الحياة إلا  
 وليد سعى الورى لكذب  
 يؤم هذا الورى سرايا  
 يزيد بعدا بكل قرب

خبرت تلك الحياة مايد

ن حالى الحزن والسرور

فداربى حلوها كؤوسا

وذقت من مرها المرير

وفزت من لذة بما فا

ت كل مستمتع جسور

وعشت أيامها ملاء

كأنما عشت فى دهور

\* \*

لنسمه الريح فى صباح

والشرق فى أول السفور

ورونق الزهر فى رباه

يدل فى لونه الطهور

ولؤلؤ الطل فى غصون

تهزها سجمة الطيور

لذائد النفس فى حياة

جهادها آلة الغرور



٣٠ مارس . ما أكثر تردد الانسان وتغيره : فهو ساعة  
يحتقر الحياة ومادتها وفي أخرى يحس بقيوده الثقيلة فيتغير ،  
حتى لقد بدا لي ان كل شيء في العالم نسبي وان الانسان  
يرى الاشياء بحسب حالة نفسه فاذا كانت نفسه سعيدة  
رأى الاشياء كلها طيبة صالحة وإذا كانت نفسه شقية لم  
ترقه الاشياء جميعا - فليس هناك شيء جميل في نفسه ولا  
شيء قبيح في ذاته والعبرة بحالة نفس الانسان .

ما أحسن الزهد لو كنت في العالم وحدي . فان نفسى  
لا تتطالع كثيرا الى لذات الحياة لطول ما عودتها الامتناع  
عنها والخلاص منها ولكن معى غيرى ولا يستطيع ان  
احملهم على مثل ما احمل عليه نفسى - انى أرى أمى في مرضها  
وضيق ذات يدها وقد كانت ربة السعة والكرم -  
وارى اختى ولا أمل أمامها وقد كان أفسح الامل  
ضيقاً في عيننا لأجلها . فكيف ازهد في الحياة ومادتها  
ومعى مثل هاتين . ولكنى اكاد افقد الثقة بنفسى إذ أقول  
كل يوم لنفسى هلم للعمل ثم لا أجذنى أتقدم خطوة في  
سبيله . هل سد كل طريق للسعى والعمل ؟ وإذا كان كذلك

فإن اللصوص والسفك أتعلم منهم كيف يحصلون على رزقهم  
وأكون مثاهم؟ فإن المجتمع إذا كان لا يشعر بألمى ويتركنى  
للموت غير مبال فإن أكون أكرم منه بل لا بد أن أكون  
مثله جودا وجشعا وقسوة.

لكن مهلا أيها الخيال أرانى قد بعدت فى تصورى  
وهياجى - فلابدأ بالسعى إلى العمل، ولا أظن المجتمع على  
ما يصوره الخيال الخائق من الجود والقسوة، فكل عامل  
فيه محال لو عرف السبيل الموصلة إليه .

٣ ابريل . سمعت وسعيت وسعيت وارجع وفى قلبى  
جرح دام من الخيبة وزاد يقينى فى قلة صلاحى ونقص  
عدتى فى انضال الحياة وياليت لم أقض تلك السنين فى درس  
لا يفيد بل يقتل النفس ويطفىء نارها . وقد بدا لى أخيرا  
أن أطلب من أخى ( فهم ) أن يبحث لى عن عمل وذكرى  
له شيئا من حقيقة أمرى . ثم أرسلت إلى أبى أخبره كذبا  
أننى بخير - ولا بد أن ينتهى هذا العذاب يوما ولو بعد حين  
فان للحياة آخرا .

٦ ابريل . إن (ش) بك مدين لوالدى ببعض المال ولكنه

لا يعرفني وأخشى إذا سألت أبي أن يرسل طالبا ما عنده أن  
يأبى - إني أعرف أنه يأبى لو سألته ذلك لانه لا يضر في  
العالم أحدا إلا نفسه وإيانا، سامحه الله وغفر لي ، فلاذهب  
اليه أنا .

مساء اليوم . أرجع الان من عند ( ش ) بك ولكن  
بخفي حنين ولقد ذهبت اليه وأنا كالحموم لما كنت فيه من  
الاضطراب والخلج ، فلم استطع قولاً وأى عذر أقدمه له ؟  
وكيف يعتقد انى حقيقة ابن دائنه ؟ ولو كنت فهل  
جئت باذن من أبي أم أنا آت من قبل نفسي ؟ وقد لحظ  
الرجل عند مارآنى انى مرتبك مضطرب ، ولا أظنه إلا حسبنى  
شابا من القتلة جئت لأؤذيه ، فتوارى منى ودخل بعد أن  
سامت عليه متاعباً ، وكان ينظر على كتفه إلى خاف وهو  
مسرع في مشيته كمن تتبعه أفعى لا يريد أن يقف خوفا من  
لحوقها به . وأعجب شئ أن الرجل لم يصرخ طالبا النجدة ،  
ولا أظن إلا أن الخوف هو الذى أدهشه عن التفكير في  
ذلك . ها ، ها ، ها . إنى أضحك برغى عند ما تذكر هيئة  
الرجل وهو ممن يسمونهم العضاء ، إذ يولى متعثرا خائفا

ويتركني وراءه واقفا والكلام على طرف لساني . لقد هون  
 على فشلي أنني كسبت شيئا إذ رأيت مظهرا جديدا من مظاهر  
 الناس . مسكين أنت يا بك : إنك لن تنام الليلة ، ولو نمت لرأيت  
 ذلك الشاب المضطرب في منامك ماسكا بيده خنجرا يهوى  
 به إلى صدرك الأجوف ، مرحى مرحى ، لقد عرفت أخيرا  
 أن وجهي قد يتخذ شكلا مخيفاً ، وأني أقدر على إيقاع الفزع  
 في القلوب ، وهذه خطوة لا بأس بها إذ تبين لي أنني أقدر على  
 السعي حراما في سبيل الرزق إذا أنا عجزت عن وجود الحلال .

٩ ابريل . لا يزال لي ما أشكر الله عليه كثيرا . فأمرني

تتحسن حالها يوما بعد يوم وقد أوشكت أن تقوم من  
 مرضها . ولعل بقاء تقدم صحتها لقله الدواء وسوء الطعام ،  
 ولكن قوة بنيتها تساعد على مكافحة المرض والحمد لله .  
 أتى كلما تذكرت خيبتى عند ( ش ) بك أقول لنفسي اتى  
 قصرت ، لأنه كان الواجب على أن أكون أصفق وجهاً وأكثر  
 إلحاحاً ، فبدل رجوع خائبا كان يجب على أن أسير حتى أرغم  
 الرجل على سماعي ومعرفة ما جئت له ، والخجل طالما أضع  
 على صاحبه فرصا ، والحق أن أصفق الناس وجهاً أكثرهم

نجاحا في هذه الحياة .

١١ ابريل . سرت اليوم في الطريق فوجدت جماعة استرعوا نظري، وهم فقراء، بعضهم مستلق إلى جانب الطريق، وبعضهم جالس يشكو وبعضهم سائر . وهم مختلفو الاشكال والعمائم، فمنهم الأعمى ومنهم المقعد، ومنهم المريض بالرمم والممرى بالزهرى والأبله . كل هذه كانت صوراً أخذت أستعرضها حتى انتهى بي السير إلى شاطئ النيل كما دتني، فنظرت إلى اللجة المضطربة وكانت نفسى تتوق إلى أن تغوص في تلك اللجة وتتخلص من الحياة ، والحق ان هذا الشعور يعاودنى كلما وقفت بالنيل ، فكأنه أصل حياتى ويريد أن يعود اليه بعضه فينضم إلى أصله ، وأخذت عند ذلك أسترجع في الذهن ما رأيت ، وأسأل النفس عن السبب في شقاء هؤلاء الفقراء الذين مررت بهم، فوجدت أنهم جميعا يشقون بجزيرة غيرهم . وأى ذنب للأبله في بلهه أو لصاحب الزهرى الموروث في دائه أو للفقير في فقره أو للأعمى في عمائه؟ وأخذت استطرده من فكر إلى آخر أقاب الفروض لعلى أجد من يدينها فرضا يقنع نفسى الحائرة ونفسى سرلى معنى ظواهر تلك الحياة ، وعند

هذا انتبهت إلى عود صغير تتقاذفه أمواج النيل، وكان هذا العود بمثابة وحي هبط إلى، فاجابني عما سألت، إذ رأيت فيه مثلاً للإنسان في تلك الحياة، قذف فيها بغير إرادته، وخلق فكانت الحياة عليه واجباتجب تأديته على أى حال. وما تلك المظاهر من غنى وفقر وصحة ومرض وسعادة وشقاء إلا أعراضاً لا قيمة لها ولا عبرة بها - لقد تبين لى منذ رأيت ذلك العود أن الحياة غير صعبة الفهم، فهي ميلاد واجب ثم حياة واجبة ثم موت واجب.

أيها النيل العزيز، لقد كنت صديق احزاني وانت الآن معلمى والموحى الى نفسى بأسمى المعانى، والمجيب على أخفى الأسئلة وأدقها.

لقد جاءنى الليلة خطاب من صديق فيم يقول لى فيه انه اوشك ان يمدلى عملاً فعسى ان تصدق الاحلام.

١٨ ابريل ما أشد سرورى بمكسب قليل حصات.

عليه : فلقد اكتسبت اليوم جنهات قليلة أنا بها أشد اعتباطاً من سرور اكبر الأغنياء بآلافه - إن عود الكبريت الضئيل إذا أضاء فى حجرة مظلمة تنفس فى.

ظلمتها فأوضح جوانبها ، ولكن المصباح القوي اذا سطع  
نوره في الظهر الأحمر لم يؤثر شيئاً . فلا هذا بذلك المكسب  
الضئيل وليكن في سواد أيامي شعاع من نور .

وقد جاءني هذا الربح عن طريق صديقي فهيم ، ولعله  
شعر من طلبي له ان يبحث لي عن عمل ، أنى محتاج إلى شيء  
من المال ، فأحب أن يسرع بالمساعدة ما استطاع — إني  
أعلم أنه لا يجب شيئاً أكثر من مساعدتي ولا يمنع شيء أن  
يقدم لي ما يجب من المساعدة إلا خوف إبلاي . ولا أظنه  
ألا قد أتى إلى بمساعدته عن طريق يشعرني بأننى أنا الذى كنت  
بخدمته له . فانه رجاني أن أقوم ببيع بعض قمح من زراعة  
أبيه ، وقال لي ان أباه طلب منه أن يبيع له ذلك القمح مثل  
(سمسار) ويأخذ نظير عمله جزءاً من الثمن ، وطلب منى أن  
أبيع القمح بداءه وأشاركه في ربح الوساطة — ولم أفان إلى  
إدراك حقيقة صنع صديقي إلا بعد أن تمت الصفقة وأخذت  
قسطي ، لأن فرحى بالعمل والكسب أنسانى أن أفكر في  
شيء ، ولكن لا بأس بذلك فأنا معتبط بما كان ، وهلم إذن إلى  
صديقي الثيل وإلى الفضاء المتسع حيث اعتدت الذهاب

في ساعات ضيق ، لأن الحفاظ يوجب على أن أشرك في  
سروري من أشركه معي في أحزاني ولو كان جماداً . وسأذهب  
غداً لأشتري بعض الملابس لأمي وأختي فأدخل عليهما  
بعض السرور .

٢٠ ابريل . عدت من مقابلة أخي فهديم قرب المغرب  
وقد عرض على آراء عديدة تتعلق بالعمل الذي سألته أن  
يساعدني في إيجاده . والحق أن كل آرائه سديدة ، وهو يفضل  
عملاً كتابياً في دائرة لصديق والده ( ع ) بك بقرية دسونس ،  
وأنا معه في ذلك . إنني كنت أحب فهديم حب صديق ،  
ولكنني الآن أزيد على ذلك الحب شيئاً من الأعظام لأنه  
ناصر لي وقائد لخطواتي . وقد رأيته يفكر في ذلك الشأن  
تفكير رجال خبروا العالم وما كنت أحسب فيه تلك القدرة .  
ولا غرابة في ذلك فهو مخالف لي من كثير من الوجوه ،  
لأنه يحيا مع الناس وأحيا أنا أكثر أوقاتي في الخيال . ولقد  
تركته والأمل ينتعش بنفسى .

رأيت وأنا عائد إلى المنزل شيخاً كبيراً من أفقر الناس ولكنه  
نظيف الملابس على قدمها ، جميل الهيئة أبيض الوجه أسمى الوجه



وعلى وجهها ابتسامة لا تفارقه، وكان جالسا ورأى في ( الترام )  
يحدث جيرانه حديثا بسيطا ويضحك من حين الى آخر ضحكة  
خالية من الهم . فر الترام ببائع (بالونات) حمراء صغيرة ، فناداه  
واشترى منه اثنتين واعطاه ثمنهما قرشين وهو يقول « ان  
لى ابنين يطلبان كل يوم أن أشتري لهما طيارتين حمراوين  
وجبر الخواطر على الله » ثم ضحك وضحك كل من بجانبه  
وضحكت معهم ملتفتا اليه . فقال له أحسد الجلوس ولكن  
الرجل غلبك ، فإن ثمن هاتين قرش واحد ، فضحك الرجل  
مرة أخرى وقال له « دع الرجل يكسب فالحسنة الخفية  
فى البيع والشراء »

نعم ايها الشيخ انك تملك قليلا من مادة الدنيا، وانت  
بها كريم، وهذا سر انطلاق نفسك وخلوك من الهم - حفظ  
الله عليك هدوءك، وياليتنى كنت مثلك، أو ليتنى أقدر أن  
أعود الى بساطتك وقناعتك.

٢٣ ابريل . قد تم عزمى على ترك المدرسة برغم امين ورغم  
ابى لأنهما يأتيان . غفر الله لى . ولست آسف على تركى لدروس لم  
أجد منها معينا على الحياة عند الحاجة ، فان غرض التربية .

أن تعد الناسى ، للحياة والسير فيها ، فإذا هي لم تف بهذا الغرض كانت ضياعا للوقت . اننى اشكر كيا عيزى ( فهم ) وجزاك الله عنى خيرا ، فأنى لا أقدر أن أجزيك إلا باخلاصى ووجي . إن كان لهذه العواطف قيمة .

٢٧ ابريل . جاءنى اليوم خطاب من ( ع ) بك لى . احضر اليه وابتدى ، على كاتبا و أمينانى ( دأرتة ) ، وإنى مسرور بذلك العمل من وجوه عدة بين مالية وغيرها ، ولا سيما لانه بمدينة دسونس التى أحمل لها أحسن أثر فى نفسى من زمن الطفولة ، ولأنى سأكون هناك قريبا من محل أبى فأستطيع أن أزوره أحيانا وأفهمه حقيقة الحال بنفسى ، ولعلنى أفلح فى إقناعه بأصابة رأى وخطى . وسأرسل له هذه الساعة خطابا لأعلمه بأننى سأسافر قريبا لذلك العمل . ولا أستعدن لملاقة غضبه ثابتا .

١ مايو . حادنى صديقى ( فهم ) بالأمر حديثا طويلا وهو يأخذ على أنى قليل الشكوى ، لا أثق بأحد حتى به . وهو صديقى القديم ، وقال لى « كيف تسكت طول هذه المدة الماضية ، فلا تقول ما عندك لصديقك الذى تعلم ما يحمله

لك؟ وهل من الصداقة في شيء أن أجهل داخل حالك هذا  
الجهل، وألا تبوح لي بسر أو تشكو إلي ألماً من آلامك؟  
إن تلك قسوة منك وقلة ثقة « . أي أخي، كيف تقول أنك  
لا تعرف داخل حالي؟ ألا تعرف نفسي وميلى؟ الست  
أفضى إليك بما ينبغي له قاي وتتحرك له عاطفتي؟ البس في  
ذلك كفاية لأن تكون على علم تام بأخيك؟ ولم أذن  
ازعجك بذكر آلامي المادية ووصف حاجتي ورقة حالي؟  
إنني كلما ضقت بما بي شكوت إلى الفضاء والنجوم، ولا  
أزال أردد طرفي بين هذا النجم وذلك، حتى يرتد إلى بعد  
قليل وقد تبينت حقارة تلك الحياة وهمومها فأسلو بعد ذلك  
سلوا كبيراً، ولكنني إذا شكوت ذلك إليك أيها الصديق،  
لم تستطع أن تبعث في نفسي ذلك الشعور ولا تلك السلوى،  
وكنت أنا سبباً في إيلاكم عند سماع ما أتألم له . فما فائدة  
شكوى لا أثر لها إلا إيلاكم من أحبه؟ إنني رأيت أن أكثر  
الناس شكوى أكثرهم حباً لأنفسهم.

٣ مايو. ندأ ميعاد السفر إلى محل العمل، وأنا داخل  
إلى ذلك الميدان بنفس آملة وليت شعري ما المستقبل؟...

أقول ليت شعري ما المستقبل وأنا أ كاد أضحك من نفسي،  
فإن الإنسان لا يزال ينظر أمامه إلى ذلك المعنى المتجدد  
ولا يفكر لحظة في أن الحياة كلها بعض دورات من  
سير الفلك.

وقد مررت اليوم بجماعة من المتسولين نياماً على  
جانب الطريق، وهو طريق من أكثر الطرق ازدحاماً بالناس،  
فحدث أثناء سيرى أن مرت إحدى المركبات بسرعة تحمل  
رجلاً يلوح أنه من الكبار مالا، فلما قربت المركبة من أحد  
النائمين أبطأ السائق خوفاً أن تمر العجلات عليه لضيق  
الطريق، فصاح به صاحب العربة مهتداً شاتماً، فالتصق النائم  
بالحائط والتصقت أنا بها كذلك حتى مر، وسمعتة يقول:  
« وماذا لو مرت العربة على ألف من هؤلاء، فتستريح منهم  
الدنيا ».

نعم أيها العظيم أحسنت! فإن ذلك كان يريح ألفاً من  
الخلق من عناء حياة يقاسونها. ولكن من ذا الذي سلب  
هؤلاء راحتهم وطردهم من بيوتهم وشردهم كذلك إلى  
جوانب الطرق؟ وأين ذهب قسطهم من الرزق وهم خلق

كباقي البشر لهم حظ من رزق الأرض ؛ إن هؤلاء البؤساء  
 ما سلبوا ألا ليجتمع سلبهم عند أمثالك ، وما طردوا إلا  
 ليفسحوا القصورك ، وما شردوا ألا لأنك تأخذ من ثمرات  
 الأرض أكثر مما لك ، فأنت أنزلتهم قسراً عن أقواتهم  
 وكسوتهم ومساكنهم .

أريد أن أبعد عن هذا البلد بلد المتناقضات — بلد  
 الغنى الفاحش والفقر المدقع — بلد الذبول المجررة والأسمال  
 البالية ، بلد التخمّة والموت جوعاً ، والترف المفسد والكد  
 القتال . ولعلني أجد الراحة في بلد سواه .

٥ مايو . هأنا الآن في مدينة دسونس قرير العين ،  
 فأختي معي بعد فراق طويل كنت فيه يدمى فؤادى أذ  
 أرائى لا أقدر أن أكون معها تحت سقف واحد ، لأن جدتى  
 كانت تأبى على أن أنزعها منها . وهاهى أُمى باسمّة بعد  
 عبوسها الطويل وقد قويت بعد مرضها والحمد لله . وهأنا  
 أرى أمامى التربة القديمة وأنا جالس على جانب معشب من  
 جوانبها ، والشمس مائلة الى الغرب ، والنسيم يتهادى من  
 الشمال جيلا بارداً ، وورائى متسع فسيح من حقول الغلال

والقطن الجديد — هنيئاً لصاحب بضعة فدادين خالية من  
قيود ويفاحها بنفسه ويعيش غنياً، يتمتع بالهدوء في ظلها  
يعيداً عن الترف والحاجة جميعاً، خالصاً من مفسد المدينة  
وأدوائها.

لم يأتني بعد كتاب من أبي ردّاً على خطابي السابق —  
سأخني يا أبي فلو عرفت الحق لعذرني وحمدت ما كان مني —  
وأرى أن أزوره غداً لكي أكله وأوقفه على كل شيء تفصيلاً،  
ولعل الحديث يشفي مالا تشفيه المسكينة.

٦ مايو . سرت اليوم راكباً من دسونس إلى مكان  
أبي، فررت بالأرض التي أحمل لها في نفسي أجمل ذكرى .  
ورأيت شجرة الرمان التي كنت أنام تحتها وقت الظهيرة،  
وفوقها الزرزور يملأ الفضاء بصفيره الجميل وهو لا يرى  
بين الفروع، وأسمعه كأنما أنا أسمع موسيقى من ملاك في  
السماء لا تبصره العين . ومررت بحقولها ولا يزال بعضها  
أشعث أغبر طويل الحشائش وبعضها قد هذبت يد الفلاح  
فاستعاض عن الخلفاء قمحاً وقطناً . ومررت بالمكان الذي  
كنت أزرع فيه الفول السوداني وأفلحه بيدي، وأنا صبي.

حتى إذا زاد الحر عدت بنفسي إلى المنزل ففتلقاني أُمِّي  
بالضحك وتأمرني أن اذهب لأنظف نفسي بعد عملي الذي  
لا يليق بي — مررت بكل مكان في تلك الأرض وكان كل  
شبر منها يشير في نفسي معنى وذكرى . ولكني لم أقم بها  
فإنها الآن ملك يد غير يد أبي ، فوأسفاه ! وكفاني اني  
ملأت صدرى من هواها وعيني من مناظرها . وما زلت  
حتى بلغت المكان الذى فيه أبى ، وما أجمل مكاناً فيه أبى ،  
ولكنه كان خارج المنزل حين وصلت هناك ، وهأنا اكتب  
هذه الكلمات حتى يعود .

٧ مايو — اجلس الآن لأسقط دمعين — رأيت أبى  
وكأنما تركته من سنين وما فارقه إلا أقل من عام . فقبلت  
يده وما أحلاها من قبلة ، ونظر إلى نظرة ملؤها العطف  
والحب والأسف . وقد عرفت اليوم مقدار حبي له وكان  
قد خفى على حيناً — أنه أبى وهو مثلى وكلانا ضحية لنظام  
فسد فى هذا المجتمع ، وما أجدرنى بالاشفاق عليه . وقد  
قابلنى بغير ما كنت أتوقع ، فقد كنت أظنه ياتقانى لائماً  
غاضباً ، ولكنه قابلنى عاطفاً متهللاً . فذهب باكب رعباً .

عن نفسى ، ويلوح لى انه راض عما فعلت . والآن استطيع  
أن اضم ما أكسب على ما استطيع أن يرسل لى ، وسيكون  
ذلك كفيلا بحياة طيبة بعد طول أمد الضيق والعسر  
وشكرا لله .

٨ مايو . أضف صحيفة الى صحف الشقاء . فأن ابى عند  
مالقيته اول مرة أول أمس كان يخفى عنى امرأً خطيراً ، ولعل  
هذا سبب قلة غضبه على لتركى المدرسة . وها قد تبينت .  
انى آلة للقضاء أسير معه لغرض سام يخفى على الناس . نعم  
فقد اصبح أبى الآن على وشك أن يترك تلك الأرض .  
ولا يعلم الخطوة التى تلى ذلك الترك ، ولست ادرى . اذا كان  
يؤول اليه امرنا لولم يدفعنى الله إلى الرغبة فى العمل ، ويوفقنى  
الى وجوده فى هذا الوقت - واغرب شئ ، فى الامر أن  
عمى هو السبب فى ذلك ، ولو سمع أحد الطريقة التى اخرج  
أبى بها من ملكه لحنق على مُخرجه كائننا من كان فما بالك  
لو كان هذا اخاه الشقيق .

لقد كان أبى يملك كثيراً ثم دبس له الدهر ، فبقيت له  
قطعة من الارض نحو افدنة عشرين ، وكانت ملكا لأمن



ولكنها باسمه ضنا بكرامتها أن تنزل في معترك الحياة  
 المادية، وكنا عند ذلك في آخر أيامنا في المرة الاولى في دسونس.  
 فلم يدريوما إلا وعمى يزوره ويعرض عليه فكرة الاشتراك  
 معه في شراء ارض متسعة، وأخذ يؤثر في قلبه من كل طريق  
 حتى رضى ابي أن يبيع ارضه ويدخل معه في شركة، وأخذ  
 ابي بعد ذلك يعمل جهده في الاصلاح - وهو رب الفلاحة،  
 حتى أصبحت الارض جديرة بالفخر، وانتظرنا خيرها،  
 وعند ذلك توقف عمى فجأة عن السير معه وأخذ يعاكس  
 كل عمل يقوم في عزم ابي، حتى انتهى الامر بعجزه عن  
 السير وحده، وضافت نفسه من المعاكسة، وكره  
 المقام على حال كمالك. وما كان اعظم سروره عندما ارسل  
 اله عمى يوما احد اصحابه يعرض عليه أن يشتري منه نصيبه  
 في الارض. كل ذلك ولم يقل لنا ابي شيئا، ولم نعلم مما وقع  
 شيئا، الا ان ابي كان يقلل مما يرسل لنا فوق معنا في أشد ضيق  
 كادت نفوسنا تزهر منه. ثم تمت الصفقة، وماذا حصل  
 ابي من ثمن الارض؟ انه أمر مضحك مبيك في آن!  
 كان الاتفاق على اقساط ثلاثة، لم يدفع منها - إلا القسطن

الاول - ودفع بين حيوان نفق، وبين دين يحصله ابى واكثره  
 لم يحصل، ومحصل قدر قبل ان ينضج فلم يأت بما قدر له -  
 اننى اكاد لا اصدق نفسى، ولكن هذا هو الحق . ولم يستفد  
 ابى من قسطه الاول بشىء يذكر . واما القسط الثانى فلم  
 يحل بعد ميعاده، واما الثالث فن يدرى انعيش حتى يحل  
 أجله ؟ فإنه بعد سنين خمس .

يالىت ابى لم يخبرنى بشىء، فانى لو بقيت على جهلى  
 لكنت اجد تعلقة فى الأمل الكاذب، ولكنى تركت الآن  
 الى الحقيقة المرة لا يخفف منها خداع مرفه .

١١ مايو . عدت أول أمس إلى دسونس، ولم أجد من  
 نفسى ميلا للكتابة مما مر بي من النعم فى هذه الأيام الماضية،  
 وتساؤلى أسمى عن سبب انقباضى، ولكن لا أقدر على إخبارها  
 بالحق، فلتبق هى على جهلها فإن فيه عزاء حرمت أنا منه -  
 لم يبق لى إلا عملى وأحمد الله عليه، ودونى آمال محطمة  
 أينما أوجه بصرى .

١٦ مايو . أن نفسى نزاعة الى الانطلاق، كأنما هى مخلوقة  
 من هواء الصحراء ومن حر شمسها المحرقة . فهى تنزع

دأبنا الى ذلك الخضم اليابس ، ومن لى بان اطيعها فاخرج  
الى ذلك المتسع فأضرب فيه حيث لا أرى شيئا لوثته  
الحضارة ، وأعيش هناك بين أهلها الوحشيين ، فهم فى عيني  
أكرم ممن اراهم من اهل تلك الارياض .

ثارت بالأمس مسألة بين الناس ولا حاجة بى الى  
ذكرها . فوجدت كلا منهم يقيس منفعته المادية ، وما يطلب  
منه بذله فى سبيلها . ثم هز رأسه قائلا : « لا إن الامر لا يستحق أن  
أشتر لك فيه » ولم يذكر أحد منهم ما يعود عليه أو على الناس من  
نفع معنوى ، ولم يذكر أحدهم كرامة ولا عزة ولا شرفا .

ان اجلاف الصحراء احب الى واقرب الى قاي من  
أهل تلك القرى ، استغفر الله الا قليلا ممن احب ، فان  
نفسى ما زالت تحن الى الرجولة فى كل صورها ، وتنفر من  
التخنث والترف والدناءة وحب الذات والطمع واسر المادة .  
وتلك الصفات وبالأسف أقرب الى اكثر سكان هذا الوادى .  
إنى اهمم احيانا فى الخيال فاذا أنا فى حلم يقظة ارى  
نفسى فيه بين اعراب تلك الصحراء البعيدة الاطراف ، وأنا  
واحد منهم ، واذا بى كأنى ارعى سواما اتنقل بها فى بطاحها

بين نفح الهواء ونفح الشمس . وكأني وأنا كذلك اسمع  
صرخا يندب بجي، قوم يريدون الاستلاب، فأتكذب بندقيتي،  
وارجع الى نجمي، فأجد قومي قد شتموا عن ساعدهم كرجل  
واحد، ليزودوا المغير عن عرضهم، وليجموا ما لديهم من عيال  
ومال . فأسرع معهم قائلا

وهل أنا الا من غزية إن غوت

غويت وان ترشد غزية ارشد

وعند ذلك لا يذكر أحد مالا ولا حياة، بل نذكر جميعا  
عرضا نحميمه، وشرفا نحوطه من القذى، ضنا بشوكة أن  
تستلان، وبرجولة أن يطمع فيها طامع .  
ولكني لا أستمر طويلا في ذلك الحلم، لأن أمي  
تناديني لأصحو من حامي، وكان نداؤها لي بالأمس « قم  
فالساعة الآن الساعة يا بني »

ما اشد الاسر والقيد بعد تلك الحرية الخيالية ؛ ولست  
أدرى ماذا كنت أفعل لو كنت وحيدا . ان أكبر ظني  
أن اكون ضاربا في الآفاق لا يستقر بي مقام حتى أموت .  
مساء اليوم . رجعت الى ديواني المحبوب الذي ارجع

إليه إذا شجيت، فوجدت به قطعة شعر تمثل شعور شاب

يمثل ما شعرت به بالأمس واليوم وها هي :

خير من غنى على فنن أيها القمرى  
 قمت تشكو الوجد فى وهن فى سنا البدر  
 نحن خلان على شجن فاحتمل سرى  
 أنت من يؤمن فى زمن قلما جاد يؤمن

\* \*

غنّ لى لحنا أردده تشف من سقى  
 فالجوى فى القلب يوقده والأسى يدمى  
 طال ليل بت أسهده ثابت النجم  
 أين صبح كنت اعهده صأخا فى الليل يشرده

\* \*

أسلكت العمر على ملل ساريا وحدى  
 ساريا فى مهمه قحل فى ربي جرد  
 لا أرى طبّا على على من صفاء ود  
 بنس عيش غير محتمل مقفر من سلوة الأمل

\* \*

يرتجى قاي السمو الى مرتقى النجم  
ضاربا في مجده مثلا للعلا التم  
ناصر الحق ما خذلا جاحد الضيم  
ليس يستبقى الحياة فلا يدرك الا ذلال مكتهلا

\* \*

وافؤادا كنت أحمده في حنا صدرى  
حاطه غل نقيده عن مدى الحر<sup>م</sup>  
طالما هم فتقمده ذلة الاسر  
كيف يسطو الليث تصفده أو يقدر السيف تغمده

\* \*

سوف آبي الذل معتمدا كاسرا قيدي  
ثائرا في الجمر متقددا ثورة الاسد  
هائما في الافق منفردا فيه عن عمد  
قد أرى كالكفر من قعدا في هوان لا يهز يدا

\* \*

ما حياة الهون في نحس بين أوجاع  
سوف تنعى الغد للأمس دعوة النعاع  
آخر الحرص الى رهس بعد إطماع  
مرحبا بالموت والتعس في حمى العزة واللبأس

٢٠ مايو . حل ميعاد القسط الثاني من ثمن الارض .  
 حسب شرط أبي وعمي ، ولست ادري ما سيأخذ ابى منه  
 هذه المرة ، فاعلمه لا يخرج من هذا القسط كما خرج من سابقه ،  
 لأننا نحتاج إلى شيء من المال ، ولأن دين خالي واجب السداد  
 ولو أنه لم يطلبه . وإن ابى لا بد حاضرا الى بعد قليل ، إذ أن  
 شرط عمي معه ان يخرج من الارض عند دفع القسط الثاني .  
 إذ قابى وجميع فيحسن بى الا افكر فى شيء ، وليكن  
 ما يكون .

٢٢ مايو . جاءنى اليوم كتاب من ابى يخبرنى فيه ان  
 عمى لم يسدد له القسط مع حلول أجله ، ولكن طاب اليه ان  
 يخرج من الارض إذ أصبح لا علاقة له بها ، فامار اجمعه قائلا  
 إنه اتفق معه ان يدفع له القسط الحال قبل خروجه ، قال له  
 إنه سيدفعه له بعد قليل ، ولكنه اصرا على خروجه من  
 الارض ، وهامى درجة جديدة من درجات الشقاء . واليوم  
 قابانى أحد المعارف وقال انه رأى ولدى عمى يشتريان  
 ملابس غريبة ، فن قبعات الى سراويل للركوب ، الى أحذية  
 ذات رقاب عالية . فاماسألها عن ذلك اخبراه انهما سيذهبان

ليحلا محل عمهما في إدارة الأرض وزرعها . حقا انهما مكيدة  
مدبرة، وهذان ابنا عمي يستعدان لحياة جديدة يدخلان اليها  
بهيئة كاملة وزينة تامة، كأنهما من رواد المستعمرات الافريقية.  
أقبل إلينا يا أبني أقبل، فان قلوبنا تتسع لك شوقا وحبا  
وعظفا . أقبل يا أبني فقد نالك أذى كثير من أعز الناس  
عندك . ممن طالما أسأت إلى نفسك وإلينا بغير قصد من  
أجل الاحسان اليه . ان القليل الذي نعيش به يكفي حياتنا  
جميعا، ونريد بوجودك بيننا قوة على احتمال الضيق، فأنت  
أبي وانت بركة لنا .

احمد الله إذ خالفتك وخرجت من المدرسة لأعمل ،  
فقد قضى الله ذلك إذ اراد بنا خيرا برغمك وبرغم امي  
وبرغمي انا ايضا .

لقد عزمت ان اخبر امي بكل الحقيقة حتى لا يفجأها  
مجبىء ابني .

٢٣ مايو . ما كان اشد كدرا امي عند سماعها بخبر  
الخسارة التي حلت بنا، واراها الآن تظهر الألم بعد ان كانت  
تخفيه فيما مضى، ولها العذر، فانها رأت ان املا كانت تتعامل



به قد أصبح كاذبا ، والانسان يحيا بالامل فى المستقبل ، فاذا  
هو رأى الامل انهار ، فكشف له الحقيقة الجاهمة تنظر اليه  
محملة ، ذهب عنه ما كان يصبره ف شعر بالشقاء المحيط به ،  
وذهب به اليأس كل مذهب .

٢٤ مايو . أتى ابى واجتمع الشمل ، بعد تفرق طويل ،  
ولكن على غير ما كنا نأمل ان نجتمع عليه ، وانا مع ذلك  
مغتبط بوجوده بيننا ، و اشعر من نفسى بسعادة كبرى عندما  
افكر فى انى اقوم بالواجب على . ومع ذلك اجدنى حزينا  
من جهة اخرى ، وذلك لأننى اعرف ابى واعرف انه متكبر  
وقد يتألم إذ يرى نفسه قاعداً وانا عامل ، ولو عرف الحق  
لأيقن انه انما يسترد ديناً وليس يتلقى فضلاً .

٢٦ مايو . ان وقت الشك اكثر الاوقات شدة على  
النفس ، فاذا ما مضى الشك استقر القلب على اليقين ولو كان  
مؤلماً . فما اعجب قلب الانسان ! لقد كنت اذا فكرت فى  
مثل الحالة التى أنا بها الآن ضججت وخفت ، ولكنى على  
تقيض ذلك الآن ، اجد حياتى محتملة ، وان شئت قل انى  
اجد فيها شيئاً من السعادة . فالحق ان توقع الخطب اشد

في خيال الانسان من وقوعه . وقد صدق المتنبي إذ يقول  
كل ما لم يكن من الصعب في الآن

فس سهل فيها اذا هو كانا

٣٠ مايو . مات رجل بالامس وهو من اغنياء البلاد ،  
وخلف لأبنه ثراء طائلا ، وابنه وليد لم يتجاوز الحول الاول  
من عمره بعد . وبهذا اصبح الوليد رب مائة الف جنيه في  
العام الواحد . وهل ذلك الوليد خير امثاله من رضيعي اللبن  
الذين يفرض القاضي لهم نفقة قرش كل يوم ثمنا لما يكفيهم  
من لبن البقر ؟ وهل اذا كبر الولد فأصبح صبيا ، ا يكون  
غير امثاله من الابناء الذين لم يترك لهم الحظ الا الخبز وعود الفجل  
وجوانب الجدران في الطرق ؟ واذا صار رجلا ، ا يكون  
غير سائر البشر الذين يحصلون على قوتهم بالكد القاطع ؟  
اذن فبهم ميزه القدر منذ ولد ؟ ام هذا من ظلم الانسان  
نفسه ومن جور شرائع الحياة ؟ ان الانسان يسير على سنن  
الماضين لا يفكر ولا يصلح ، فأصبحت الحظوظ تصيب  
عمياء فتظلم اقواما وتحبى قومًا ، وهل الحفر السحيقة حفر  
الفقر الا نتائج لتلك القلال الشائخة ، قلال الغنى ؟ فالعالم

كفتاميزان مارجحت كفة إلا على خسران الكفة الأخرى.  
 إذ امت أنا شقى من بعدى بضع أنفس ، على حين  
 يولد ذلك الوليد رباً لنعيم حجز له ، وصاحب ثروة جمعت  
 من أجله ؟ يجب ألا أفكر فى ذلك ، وما أجمال الاعتقاد فى  
 وجود الله الذى يخاف على من لا عائل له ، ويحمى من  
 لا ذائد عنه . أن ذلك الاعتقاد الجميل يهون على الإنسان  
 هموماً كثيرة ، وأن الأحق الشرير هو الذى يسعى ليزيل  
 هذا البلمع عن عقول الناس . ففى الله عزاء البؤساء ، وبه تعلقة  
 الآملين وله صبر المصابين .

٣١ مايو . رأيت اليوم فتاة صغيرة جميلة تحمل حطباً  
 جمعته من حواف الحقول إلى بيت أمها المسكينة ، وكنت  
 جالسا على حافة النرعة عندما ألقت بحملها إلى جانبي لتستريح .  
 فأحببت أن أنظر إلى نفسها كما نظرت إلى ظاهر وجهها ،  
 فلم أجد فى ذلك صعوبة لأنها كانت تجيب غير خاشية شيئاً  
 وماؤها الثقة بنفسها . وما زلت أحدثها وهى تجيب ، غير  
 شاعرة بما يجول فى نفسى ، حتى تنهت أخيراً إلى سؤال جعلها  
 تشعر بشيء من الارتباك ، وذلك عندما أخذت أسأله عن

نفسها ، فانها أخذت عند ذلك تظهر لى الكره فى اجابتها .  
 ولكنى لم أقصر عن سؤالها ، رغم ما شعرت به من الألم  
 عند مالوت وجهها معبسة ، وقبضت فيها المليح كارهة نافرة .  
 فلما أن سألتها « وهل تحبين حياتك هذه مع حمل هذه  
 الأخطاب ، والسير على هذه الأشواك ، وأما تظنين انك  
 حقيقة بأن تسكتى اكبر القصور أيتها الفتاة ؟ » لم أجد منها  
 رداً واضحاً ، بل رأيت على جبينها عبسة ، وفى عينها نظرة  
 غريبة ، أعلمتني أن تحت ذلك المنظر الجميل نفساً قوية ثوارة .  
 فلما رأيت الاستياء باديا عليها أخذت ألاحظها وأظهر ان  
 قصدى لم يكن به شك ، والله يعلم صدق قولى ، ولكنى لم  
 أجد منها بعد ذلك إقبالا ، بل سارت غني وهى تسمح بقدمها  
 الصغيرة قطرات الندى المنشورة فوق خيوط العنكبوت .  
 كأنها عقود اللؤلؤ ، ثم سمعتها عن بعد تنادى فلاحاً شيخاً  
 تقول له « صباح الخير يا عم صالح » . واختفت عن عيني  
 تاركة خيال وجهها الوضاء ، وعينها السوداء الواسعة ، وأنفها  
 المستقيم ، ولونها الحمري ، وفها - نعم فها الذى ظهر حيناً كأنه  
 زهرة باسمه ثم إذا هو مثل فم تنال جامد عندما ولت غنى

وقد رجعت إلى منزلي مملوءاً بصورتها، فطلبت الديوان  
صديقي وقرأت فيه وهي تالوح لي بين سطوره، حتى عثرت  
على قطعة كأنها كتبت في صفتها، ولكنها على زهرة في  
الصحراء. وهاهنا:

بيداء لا يهوى بها ناظر  
إلا على صخر هشيم جديب  
جر عليها الموت أذياله  
وأعولت فيها سموم الجنوب  
رمالها كال موج وثابة  
يعلوها فوق الكتيب الكتيب  
والشمس ترعى الأرض عباسة  
شعاعها مثل حرور الهميب  
لا غصن يأوى عنده متعب  
يظله تحت لواء رطيب  
ولا غديراً تشتفى غله  
برشفة من مجتناه الشيب

رأيت في أثنائها زهرة  
 مشرقة وسط موات الرمال  
 تفوح عنها نفحة مثلاً  
 يضوع مسك عن ثياب الدلال  
 جبينها كالفجر ذو بهجة  
 كأنه معقود مال زلال  
 تميل ميل الخود في خطرها  
 تمثت فيها معاني الجمال  
 يا زهرة عهدي بأمثالها  
 في كل بستان كريم الظلال  
 ما كان مثواك سوى روضة  
 بين الندى العذب وريح الشمال

\* \*

الزهرة

قالت وقد أزعجها . تقدمي  
 وأنكرت مني حديث الفضول

ما ذاك الروض وماذا الندى  
 أراك ترميني بقول ثقیل  
 أنى أحب الشمس فى حرها  
 وأستلذ الريح ذات العویل  
 وقد الفت العیش فما ترى  
 فلیس یرضینى به من بدیل  
 تفتحت عینی فی ضحوة  
 وسوف أغضبها بعید الأخیل  
 وفى غد امضى كما قد مضى  
 من قبل ازهار الزمان الطویل

\* \*

یا زهرة البیداء عفواً فما  
 رأیت مثل الیوم کذب الظنون  
 عداک هم العیش یا لیتنى  
 أنسى كما أنسیت تلك الشجون  
 من لی بأن أبرأ من عاتى  
 فأشتفى من داء هذا الفتون

عرفت فيما عشت ، في ساعة  
 ما اعجز الخلق طوال القرون  
 يا ليتني مثلك في مهمه  
 حيث حيناً وادعاً في سكون  
 حتى اذا ما فات يومى ذوى  
 عودى فأمضى لا ترانى العيون

٤ يونيه . أتى انسى الحقيقة أحياناً فأسعد فى النسيان ،  
 حتى اذا ما عاودتى الذكرى عدت الى شقائقى وآلامى .  
 وها أنا ارى الحقيقة ماثلة امام عيني محمقة إلى تكاد تصعقنى .  
 بنظراتها . ان الأيام تمر بسرعة ولا أرى امام اخى باباً  
 الى السعادة المرجوة لمشايها . وما أضيق صدرى كلما فكرت .  
 فى ذلك ، فانى اشعر عند هذا أن السماء تكاد تنطبق على  
 وبأن الجو المتسع ضيق ثقيل الهواء . أين الآمال التى كنا  
 بنينا لهذه المسكنة التى يجرها البؤس معنا إلى هوة  
 برغمها ؛ لقد مر علينا وقت كنا نعتقد انها ستكون زوجة  
 لشاب من اكبر الشباب همة وقدرراً ، وكنا نضن بها  
 على من نراهم اليوم أكبر من أن تكون شريكة حياتهم .



ولقد كاشفت والدى بما فى نفسى عندما زاد بى الهم على قدر  
احتماله وحدى، فرأيتنه يهتز لقولى أكثر من اهتزازى أنا له،  
ولكن ماذا يستطيع؟ أيقولون فى العالم عدل؟ وقلباؤه !  
٨ يوفيه . لم أر أبى يوما أشوق الى العمل منه هذه  
الايام، وكأني الملح منه استكبارا أن يبقى قاعدا - أن أبى  
سخرى النفس كريم القلب، والسخرى يجرى بكل شيء إلا أن  
يبدل شيئا من كرامته، فإن الحياة نفسها تهون دون ذلك .  
لقد كان أبى لايهتم كثيرا للمادة، وقد ورثت كثيرا من تلك  
الصفة منه . وقد ضحى بكثير من مصالحته فى سبيل  
من أحبه، كاخيه سامحه الله ، ولكنه لا يقدر أن يرى نفسه  
متكلا على سعى أحد، ولو كان ابنه .

١٠ يوفيه . ظهر لى اليوم السر الأكبر فى شدة حب  
أبى فى العمل . فأنى اشعلت فى قلبه ناراً محرقة عند ما ذكرت  
له أختى والأمل الذى كننا نبنيه لها فهدم قبل أن يتم ،  
وقد لمح لى بذلك عند حديثه ليلة الأمس - لقد أخذ أبى  
يسرد على تفصيل ما صنع معه عمى حتى كدت أبكى ، وقال  
لى أخيرا وهو يحمر الوجه رغم صفرته الطبيعية « أنه طردنى

يابنى ناسيا كل ماصنعتة له ، فلما أن رأى ماعلى شفى من  
 القول قال لى « ولكنى اقول لك ذلك لتأخذنى درسا فى  
 الحياة ، ولتعلم مابها ، حتى لا تغتر كما اغتررت أنا بالمعاني  
 الجارية ، معانى التضحية والايتار . ولكن لا بد أن تعرف  
 يابنى أنه عمك وأخى - سامحه الله . - لا تؤاخذنى يا أبى إذا  
 قلت إنك لا تحسن صناعة الحياة بين هذا الخلق ، وليس ذلك  
 ذما بل هو عندى اكبر وصف للنفس الطيبة .

١٢ بونيه - لقد توفى أبى بعد بحث طويل الى مورد  
 للكسب وهو تاجير أفدنه بجوار المدينة ، ويريد أن يذهب  
 اليوم ليراه ، وهو يكاد لا يسكت لحظة عن السعى الى العمل .  
مساء اليوم . عاد أبى من رحلته لمعاينة الارض وكله  
 سرور ، فهى لا شك صفقة رابحة . وقد قابله الأهالى وكاهم يود  
 أن يؤجر منها شيئا بأجرة لا بأس بها ، فخبذا لو تمت فتروى  
 نفوسا ظماء . ولكن لا يزال ينقصنا المال وهو لازم لى .  
 تتم الصفقة . وأعتقد أن هذا ممكن ، اذ ان اخى فهيرم  
 لن يتردد فى مساعدتى ، واطنه يستطيعها ، فسأرسل اليه غدا  
 فى طلب ما نحتاج اليه ، وسأرجوه أن يكون شريكا فى

تلك الاجارة .

٢٠ يونيه . جاءنى رد فيهم وهو يعد بالمساعدة فى حالة طلبى لها، فشكرا له مرة اخرى . اننى كلما ذكرت فيهم ذكرت ايام التلمذة والصبا الاول، وتحياته وهو الى جانبى فى كل جولة وكل مجلس، لا تحتفى عن أحدنا نبضة من قلب اخيه ولا حركة فى قرارة نفسه، وأرى أن عهد الصبا هو عهد تكوين الصداقة الصحيحة الخالصة، وأحر بالناس ألا يضعوا تلك الايام الطاهرة تمر بغير أن يعدوا للحياة عدتها من اتخاذ صديق وفى، فأن اصدقاء الحياة المادية أنما يلتصقون بظاهر المرء، وأما صداقة الحياة الأولى فلصيقة بالنفس ومنبعثة من الحياة ذاتها . ولكن أمرا واحدا يعكر على صفاء تفكيرى فى ذلك الصديق، وهو انى لا أذكره ألا وأذكر تكريمه على ومساعدته لى ووقوفه الى جانبى بغير ان أصنع له شيئا نظير ذلك، والذي يزيدنى به اعجابا انى أراه قانعا بموقفه منى، راضيا بأن تظل يده العليا لا ينتظر منى جزاء . وبلاذ: إننى أتألم وأعبط نفسى به فى آن واحد، وليس لى ما أقدر أن أكافئه به ألا انى أحمل بين جنبى قلبا يذكره عند كل

تنفس، ويعرف له جميله، ويتمنى لو استطاع أن يملك ما يخدمه به، وحسب المقل مثل ذلك .

٢١ يونيو . ذهبت عقب تفكيرى فى فهم ليلة الأمس الى مضجع موزع القلب، فلما ان غفوت رأيت فيما يرى النائم كأتى بعد طالباً بالمدرسة، وأخذت مناظر ذلك العهد تمر على صورة صورة، ولم تكن صورة منها غير حقيقية بل لى استعدت أشياء كنت قد نسيتها كل النسيان، وما أغرب الأحلام ! فكان ذلك الحلم أعاد من عرفتهم صغاراً فى المدرسة، وأرجع الى الذهن صورة كل منهم اذ كان صغيراً . وقد نهضت اليوم من نومى والصورة منطبعة فى ذهنى واضحة فاستطعت أن اقرن تلك الصورة الماضية بأشخاص هذا اليوم فاذا وجدت ؟ وأى فرق تفعل السنون ؟

لقد كان من بيننا قوم كنا نراهم نابهين عقلاء، كانوا يشبهون الرجال، وكانوا فى نظرنا من خير الناس عقلاء، فأذا هم الآن من أخمل العاملين وأقلهم فى الحياة غناء، وكان فينا قوم كنا نراهم صغار العقول، من ذوى اللعب والخفة، فأصبحوا اليوم وهم من رجال العقل والرزانة والصلاح . حقا ان الطفل

فى نفسه مخلوق خاص بنفسه، ويجب أن يبلغ كمال الطفولة  
من لعب ولهو وخفة، قبل أن يدخل الى دور الرجولة .  
وإن الطفل الذى يكون رجلاً قبل أن يدرك كمال الطفولة  
لن يكون رجلاً كاملاً كذلك . فإذا اردنا ان يكون لنا  
رجال من ذوى القدرة، فلا بد لنا أن ن فكر أولاً فى أن  
يكون أولادنا اولادا بلغوا الكمال فى طفولتهم - أولادا  
مرحين يلعبون ويخاطرون ويمجربون بيدهم العمل، ويفتتحون  
أعينهم الى الهواء الطلق والطبيعة القوية . ففي ذلك الاحتكاك  
بين الطبيعة والنفوس تتولد القوة على البقاء فى نضال الحياة .  
لقد هممت ان أقول رأى هذا للناس، ولكن لاأظن أحداً  
يعنى برأى مثلى . فلاسكت ابقاء على ماء وجهى .

ارسل عمى لابی قليلاً من قسط الارض، ووعد به بان  
يعطيه الباقي، وهو الأكثر، قريباً - أما انا فلا أظنه يفعل .  
٢٥ يونيه . لم يقدر أبى أن يتفق مع الرجل صاحب  
الارض على الشروط التى يمكنه أن يستأجر بها، وقد اهتم  
لذلك كثيراً .

ان أبى يكبر فى عيني كل يوم، وأنقص أنا فى عين نفسى

كلما تذكرت أن الضيق كاد يوماً يحرفني عن أكباره بعض الشيء - سامحني يا أبي فانها زلة من زلات الشباب الجاهل .  
 أن أبي لا يعمل العمل على كبر سنه، فهو يقضى في العمل أكثر النهار ويتأخر في الليل على غير عادته، وأني أخشى عليه من ذلك ولكنه لا ينشئ ، ولا يجيب ملاحظتي ألا بابتسامة خفيفة . ويخيل لي أن حبه الوالدي قد ملك عليه نفسه منذ ذكرته بأمر أختي ، ساعده الله . وأني أكاد الوم نفسي على قولي الذي أثاره تلك الثورة، فلا يكاد يسكن، فبالأمس كان في دمنهور، وسيذهب بعد حين إلى كفر الشيخ ليرى أفدنة هناك بلغه أنها جيدة .

اول يولييه . قبالت يد أبي إذ ودعته على المحطة ، وهو ذاهب إلى كفر الشيخ ، وكأني لم ألمح نحوه الا عند ذلك . فتأملت الما كبيرا ، اذ يذهب هذا الشيخ الضعيف وحده إلى برارى تلك الاقاليم ، وهو يشكو في نفذه الما يعاوده . كلما أجهد نفسه في السير ولو قليلا . وقد وجدته يجتهد أن يخفى عنى كل تألم جسدى ، خوف أن اثنيه عن العمل . انى كلما تذكرت وجهه الشاحب المطل من النافذة ، شعرت .

في قايي بوخزة كوخز الحراب ، ولت نفسي اعظم اللوم  
على أنى لم أذهب معه ، فأكون قريبا منه في تلك الرحلة  
الشاقة، التي لا بد يصيبه منها تعب عظيم . وأتذكر الآن  
دعائه ، فيذوب قلبي - لقد رأيته هذين اليومين ينظر الى  
نظرة لها معان أحس بها ولا أقدر أن أفصح عنها . وأقرب  
هذه النظرات كانت اليوم في الصباح ، إذ أعطيته ماجاءني  
من الوظيفة ، فإنه قال لي عند ذلك ناظرا الى تلك النظرة  
الناطقة « لقد قعدت يا بني وانت تكبد بدلي ، وما كنت  
اظن أن الله سيلقى عليك هذا العبء في هذه السن ، ولكن  
هكذا شاء الله ، ولعلك تستطيع ان تقيم بناء متهدما » . فقلت  
له « والله أنه يؤلمني اشد الألم اني لا أقدر على أن اجيء  
بما ترضى له نفسي ، ولو ساعدني الحظ على ما احب . . . . »  
وهنا خنقتني عبرة زادتها نظرتة حرارة ، فمسح بيده على  
رأسي وقال لي « بارك الله فيك يا محمد، فان قليلك كثير لدى  
يا ولدي » .

أحبك يا أبني وأعظم فيك ذلك الكبر ، ابقاك الله  
بركة وسلاما لقلوبنا .

٤ يولييه . عاد أبي مغتبطا بما رأى ، وأخذ يصف الأرض وحسن موقعها ، وقرب محلها من المحطة الحديدية ، وهي فوق ذلك أرض موقوفة وناظرة الوقف سيده يمكن أن تؤجرها بشروط هينة ، ولا سيما الشروط المالية ، ولعلها تكون من حظنا . ولكن رأيت على وجه والدي أثر الشحوب أكثر من المعتاد ، وهذا ما ينفطر له قلبي ، فإن الاجتهاد يضر بمثله وهو لا ينثنى .

٧ يولييه . أكثر من القول لوالدي أن يدع كل شيء يسير سيره ، ولا يهتم لشيء أكثر من الواجب ، وذلك لأن رأيت كثير التوق والاهتمام لما عساه يحدث . وقد وعدني أن يعمل بمشورتي ، ولكنني متأكد من أنه لن يعمل بها ، لأن حبه الوالدي قد غلب على كل أمر آخر . واليوم أرسلت إلى فهد أسأله أن يرسل إلى رأيه في الاشتراك في هذه الأجرة ، وأعتقد أنه سيجيب ما أطلب إليه ، مدفوعا بحب مساعدتي لا برغبة الربح - جزاه الله عن صديق كريم .

١١ يولييه . يقول أبي لو نجحت هذه الصفقة لوجب



الانتقال الى كفر الشيخ ، ولكنه يرى ان ذلك الانتقال ..  
يجب ألا يكون لأحد سواه ، فيريد أن يذهب وحده ..  
ويعيش هناك كذلك ، حتى يقدر على ملاحظة الأرض ،  
وإدارة أمورها عن قرب ، وهذا انكار للنفس لا يزيد عليه ..  
إيثار . ولكن من القسوة ان اطيعه في ذلك ، لأنه كبير  
السن والوحدة مستحيلة على مثله . انه يحتاج بانه اعتاد  
تلك الحياة ، لأنه قضى فيها زمنا طويلا من عمره فلا يجدها  
تشق عليه ، ولكن ذلك لن يكون ، ولا سيما لانه أصبح  
غيره بالأمس لما أراه فيه من الضعف .

١٥ يولييه . جاء اليوم رد فهميم وهو يعتذر عن تأخره ..  
بأنه كان غائبا عن القاهرة مع أبيه بضعة أيام . وقد صدق  
ظني فيه كالعادة .

وخاطبنا ناظرة الوقف ، وسيأتي وكيلها إلينا اليوم ..  
لنتفق على الشروط . ما أفك أخى فهميم ، فهو لا يجب أن  
يجعل كتبه كلها مادية ، لما يمامه من كرهى لذلك ، ويعمل ..  
أبدا إلى أن يهدينى فى كل كتاب بطريفة من طرائفه ،  
لأزيد من لذتى بقراءته . وكانت كرامته هذه المرة على احتفال ..

قام بالقاهرة ساعة كتابته للخطاب ، وهو احتفال يوم ١٤  
يوليه ، الذى يقيمه الفرنسيون فى مصر . فإنه أخذ يصف  
لى الاحتفال وما فيه من أنوار وزينات ومناظر ، وبعد  
أن انتهى من ذلك قال :

« وبعد ، فيا محمد ألا ترى الأمر مضحكا ؟ هذا عيد  
الحرية قد أقيم بمصر ، فلماذا تشكو من فقدانها ؟ أنك صعب  
الرضا - ولكن اسمع . ماذا تظن أن ميرابو يقول لو أنه  
رأى ذلك الاحتفال ؟ أكان يعجب منه أم يسخر ؟ لا تجبنى  
فأنا لا أريد جوابك ، ولا مواخذة فى ذلك الجفاء ، فأنما  
أنا أسأل غير منتظر ردا . وماذا يكون حال من سقط  
من الفرنسيين فى مثل ذلك اليوم ، لو أنهم نهضوا من  
قبورهم ، ورأوا تلك الذكرى تقام ليومهم ؟ لا تجب أيضا .  
أن كل الأمور تنتهى بزينة وأغنية ، أليس كذلك ؟ أضحك ،  
أضحك يا شيخ ، وقل كما يقولون « لتجى الحرية » وتخيل أنك  
من القوم - هنيئا لهم عقولهم ، والعاقبة عندك يا محمد . ألا  
تفريق من عبوسك ؟ وتحياتى اليك » .

ما أحب قولك ألى نفسى يا فيهم ! ان كل كلمة منك

تثير في قلبي معاني تدق عن الفهم .

١٨ بوليه . أتى الوكيل الى أبي كما اتفقنا مع الناظرة ،  
وقد كتبنا عقد الأجارة وانتهى كل شيء ، وموعد دفع  
التأمين يوم ٨ أغسطس ، وسأرسل لفهيم بذلك . وليس  
أحد أكثر سرورا بذلك النجاح من أمي وأختي ، فأنهما  
تصوران صوراً بديعة لما يعود علينا من الخير من وراء تلك  
الصفقة . وقد دب قولهما في نفسي فأعداني ، فأصبحت أنا  
أيضاً خفيف النفس مسروراً .

١٩ بوليه . أجد في نفسي سروراً هذين اليومين ،  
وإلى الآمال تبيض في قلبي ، فتصور لي سعادة المستقبل  
وراحته . وقد قضيت أكثر وقتي في داخل منزلي وسط  
أهلي ، والبشر يعلو وجوههم جميعاً ، وأخذت أختي كلما  
دخلت عليّ تحدثني حديثاً جميلاً عن الصيف الآتي ، وما  
سنجد فيه من لذات ومسررات ، فاقترحت عليّ الذهاب إلى  
شاطئ البحر ، وأخذت تذكرني بسعادة الأيام الغابرة التي  
قضيناها هناك إذ كنا صغاراً ، والحق أن تلك الذكرى  
لا تزال في نفسي زاهية جميلة . ولكنني جعلت أضحك في

نفسى منها ، لأنها تبنى فى الخيال قصورا قبل أن يتم الحصول على شىء من مادتها ، ولم اشأ أن أعكر عليها صفاء خيالها ، ولا أن أنقص عليها نعيم وهمها ، فتركتها تصف ماتصف من خططها للصيف المقبل ، وكنت أوافقها على ما تقول ، حتى يعوضها الخيال شيئا من ألم حقائق الماضى والحاضر .

٢٠ يولييه . جاءنى حواله تلغرافية من فيهم ، وتسامت ما أرسل الى وسرأتى من ذلك . وسنذهب بعد قليل لرؤية الأرض معا . ويسرنى أن انتهى عمل كنت أراه حملا ثقيلا ، لأن الانتظار مؤلم مثلنا ، وقد وضع أمله فى العمل المنتظر .

٢٢ يولييه . أخرج الآن وحدى الى شمال المدينة ،

بعد طول هذا الاحتجاب الذى منعى عن ان أروى نفسى بتلك الطبيعة الحلوة القوية . أخرج الى الحقول الخضراء ، والماء الجارى ، والنسيم اللطيف ، وأمتع ناظرى بالتطلع الى السماء البعيدة ، والنجوم اللامعة التى يتمثل فيها معنى الابدية والدوام ، وأنا اكتب هذه السطور فى كوخ خفير السكة الحديدية ، وهو صديق من اصدقائى ، أذهب اليه فأقطع طريقا طويلا ، ثم أسمر معه حينما فأجد فى سمره لذة أعظم

مما أجد في حديث المذهبيين . أنا مالى تأخذنى هزة شديدة  
 كلما خلوت فى تنزهى هذا ؛ فإن الحياة تبدولى عند ذلك  
 مجردة من زخارفها وغشاواتها ، فأرى زوالها ، وحقارة  
 ما فيها من غنى وجاه وسلطان ، وأرى حقيقة معنى المساواة  
 بين الناس ، وأن من نسميهم الكبار ذوى الحول والطول ،  
 ما هم إلا رجالا قد طلى ظاهرهم بغشاء من نسج الانسان .  
 ولو خرج الخلق جميعا الى البداوة الأولى ، وأزيجت عن  
 العالم تلك الحدود والقيود التى تغل الناس ، لكان للعالم شأن  
 آخر . أنا أكاد ألمس بيدى معنى الحياة ولكنى لا أستطيع  
 أن أعبر عن ذلك المعنى ، وغاية ما أقدر على الافصاح عنه  
 أنه لاقيمة لما اعتاد الناس أن يقدسوه فيها من مال وجاه ،  
 وأن العبرة فى التفاضل بين الناس بما عند كل منهم من صفات  
 الرجولة والشرف ، ولكن ذلك مقياس لا يرضى به كثير  
 غيرى ، لأنهم اعتادوا أن يذهبوا وراء المظاهر البراقة  
 والزخرف الكاذب ، فهم يعبدون الحقيق إذا اكتسى بما يبهى  
 عيونهم - حقا إن الانسان ما زال هو الانسان البدوى  
 الجاهل ، ولو تغيرت مظاهر جهله . أليس هو نفسه الانسان

الذى كان يعبد الحيوان كالعجل والكبش مادام قد اكتسى  
بكسوة مذهبة تأخذ بالابصار؟

٢٥ يولييه . أجدنى هذين اليومين كثير الراحة  
والاطمئنان ، وأخرج كل يوم إلى التربة في شمال المدينة ،  
فأسير وحدى نحو ساعتين ، حتى أصل إلى كوخ صاحبي  
الخفير ، ثم أعود وكأننى لم أسر إلا دقائق ، وتشغلنى طول  
هذه المدة ذكريات الماضى ، وما نحن فيه الآن ، وما عساه  
أن يكون فى المستقبل ، والحق أنه لو فكر الإنسان قليلاً  
لرضى بكل ما كان ، فإن عقبى كل شىء واحدة ، وآخر تلك  
الحياة يلتقى الناس جميعاً .

أأست سعيداً؟ — ولم لا أكون كذلك؟ وإن من  
يرضى بما هو فيه سعيد . وما السعادة؟ إن الإنسان يفكر  
فيها كثيراً بغير جدوى ، وعندى أن السعادة شىء سلبى  
لا إيجابى ، أعنى أنها ليست حالة بعينها — فليست فى القوة  
وليست فى الغنى ، ولا فى الجمال ولا فى الشهرة ، وليست  
فى مظهر من مظاهر الحياة ، وما هى إلا السلامة من  
آفات الحياة وآلامها . فإذا خلا المرء من مقلقات راحته

الداخلية ، واحتفظ بخلوه واطمئنانه كان سعيداً ، وذلك بأن يكون بعيداً عن الشر والنزوع اليه ، عالياً عن مرتبة الأحقاد البشرية الحقيرة والأطماع الدنيئة . وأساس الخلو من كل هذه المقلقات أن يزهد في مادة الدنيا ، ويروض نفسه على القناعة والعفة . فلسعادة على هذا سلبية ، وهى الخلو من المكدرات المادية والخلقية ، والأبقاء على صفاء النفس واطمئناتها . وأنى قد تمرى أوقات كوقتي هذا ، الان ، اكون فيها على مثل تلك الحال من الصفاء . ولقد صدق ، من قال ان السعادة أقرب إلى الفقراء منها إلى الأغنياء ، فليهنأ المساكين ذلك ، فان الطبيعة خلقت لهم من حرمانهم نعمة ، ولم ترض عنهم بالمرفهات .

٤ اغسطس . ذهبت مع أبى لرؤية الأرض ، فوجدتها على مثل ما وصفها ، ولكن ينقصها شيء واحد ، فهى ليست مثل الأرض الأولى التى أحببتها ، وليست بها جهات شعشاء وحشية مختلفة المنظر بين مفلوح وطبعى ، وليس فيها ريح الطرنة ولا لون نوّار العاقول ، وليس فيها ذلك النسيم الجاف ، ولا الزرزرور الأغن فوق عود الرمان . ولكن

أظن أن الذكرى هي التي تعطي تلك المناظر السالفة جمالاً  
 في خيالي أكبر من جمالها الحقيقي ، ولعل الأرض الجديدة  
 بعد المعاشرة تثير في نفسي ما كانت تثيره الأولى من  
 المشاعر — أن قلب الإنسان عجيب ، فهو لا يقتصر في  
 الحب على بني آدم ، بل قد يحب الحيوان وقد يحب الجماد  
 كأنما هو صديق له ، وهل وقوفه بالاطلال إلا نوع من  
 الحب ؟ نعم ولكنه حب لا بالمكان من الذكرى فيصبح  
 المكان رمزاً ويحل في القاب محل ما كان به .

أجد من نفسي هذه الأيام قلة ميل إلى الكتابة ، فاني  
 كنت أجىء إلى كراستي هذه لاكتب ما يجول بنفسي ،  
 كأنما أنا أشكو إليها ، ولكني الآن لا أجد من نفسي  
 هذا الباءت نفسه . وأذن سبب ذلك اني استشعرت شيئاً  
 من الراحة بعد طول القلق والاضطراب ، فكنت في الماضي  
 أجىء الى كراستي لأشكو لها ، وانا الآن أجىء إليها  
 لأحدثها وأفكر بين سطورها ، وشتان بين شعور قلب  
 ملتهب وشعور عقل مفكر .

٧ اغسطس . لو كنت اعتقد في الهاتف لقلت انه قد



هتف بنى اليوم . فكأنى سمعت صوتاً يقول لى وأنا بين  
النأم واليقظان « ان والدك كبير السن يضعفه الكد » .  
فكشت افكر بعد ان انتبهت مذعوراً ، ثم طردت عن  
نفسى الفكرة ، ولكنها عادت إلى برغمى ، ورأيت صدق  
الهاتف مذتمثلت صورة ابى وهو عائد من كفر الشيخ .  
أرى بقلبى قلقاً كأنما هو يتوقع شيئاً ، ولكنى اهون  
عن نفسى واقول ان هذا شعور الانسان دائماً اذا اقبل على  
التقال جديد كذاى انا مقبل عليه — هكذا اقول لنفسى ،  
ولا يذهب عنى ما اشعر به من القلق . ولا شئء اليق بى  
من ان اترك التفكير فى هذا ، واجعل الامر لله يقضيه كما  
يشاء ولا معقب لحكمه .

٨ اغسطس . ان والدى ينادىنى لنذهب لمقابلة الوكيل  
واعطائه التأمين فى وقته ، فاجعلها اللهم صفقة رابحة مباركة .  
ان ابى ظاهر الضعف ، ولو انه يخفى عنى التعب اشفاقاً .  
وان قلبى لىتمزق إذ اراه مضطراً للعمل فى هذه السن ،  
واذ ارانى مضطراً لمساعدته ، غير قادر على الاضطلاع  
بالحمل وحدى ، ويا ليتنى ! وهل تفيد يا ليت ؟

١٠ أغسطس . انتهى أعداد كل شئ ، وسنساغر اليوم  
 إلى كفر الشيخ ، ولست أجد من نفسى ارتياحا الى ذلك .  
 الانتقال ، ولا تزال نفسى منقبضة كأنها تتوقع شرا ، ولكن  
 هذه عادة النفس عند الانتقال دائما ، وأظن أنى اذا استقررت  
 مرة اخرى عاد إلى الهدوء والبشر الذى شعرت به عند  
 بدء هذه الأجاره . ولعل ما أشعر به من الوحشة راجع الى  
 تفكيرى بالألمس فى كثرة التنقل وأثرها فى الإنسان ، اذ انى  
 اخذت اقول لنفسى إن الذى لا يقيم فى جهة واحدة لا يعرفه  
 أحد ، ويعيش غربيا فى كل مكان ، ولا يجيد الحب وهو  
 أئمن ما يجده المرء فى حياته ، لأن الحب نتيجة الألفة  
 والمعاشرة الطويلة ولا تطول المعاشرة مع الانتقال . فلا غرابة  
 فى انقباض نفسى ، لأن هذا التفكير وخذه كاف لتعكير  
 كل صفاء . ويجب على أن أقاوم ذلك الميل ، وقد جربت أن  
 الإنسان يقدر على إخلال السرور فى نفسه محل الوحشة  
 والانقباض ، اذا هو تكلف المرح والخفة ، فلا يلبث أن  
 يتقلب تكلفه شعورا حقيقيا بالأشراح ، فلا صنع هكذا .  
 ١٥ أغسطس . تركت أهلى اليوم فى كفر الشيخ ، وتركتم

أبى  
 التى  
 لى أ  
 عادى  
 فى  
 بعد  
 أجد  
 أنى  
 أعو  
 وليس  
 السيد  
 ظنتم  
 شد  
 الذى  
 كل  
 مس

أبى يتكلم مع المستأجرين فى قيمة الأجرة وعدد الأفدنة التى يطلبها كل منهم، وأراه كثير الحركة، حتى لقد ينجىلى إلى أحيانا، أن فى حركته شيئا من الاضطراب على غير عادته، فهو فى العادة ساكن هادى، الحركة. وأراه يزداد فى عيني شحوبا كل يوم، ولكننى آمل أن يزول ذلك كله بعد أن يستقر ويطمئن، فإنه كله ناشئ من التعب والقاق. أجد نفسى كأننى فاقده شيئا، فبالى مشيت، ويخيل لى أحيانا أنى نسيت شيئا لا أذكر ماهو، فأنامس جيبى، ولكننى أعود إلى نفسى، فأعلم أنه الخيال الذى يجعلنى أظن ذلك وليست الحقيقة. ولا أدرى لهذا التشتت من علة، ولعل السبب هو أنى لا أجد أبى وأمى وأختى بجانبى.

١٩ أغسطس. كنت مبالغا فى الاعتداد بنفسى، أذ

ظننت أنى أقدر على الإقامة وحدى، فأنى أشعر بضيق شديد من تلك الوحدة، ويزداد عندى الشعور بالتشتت الذى بدأ بى منذ تركت أهلى بكفر الشيخ، ولكننى أحمل كل هذا راغبا، لأننى أستطيع تحمل المشقة أكثر من أبى. مسكين ياوالدى. هل تحملت مثل ماأنا فيه الآن كل تلك

السنين وأنا لا أدري ؛ لقد قاليت يا أباي كثيرا بغير علمي .  
وأكبر ما أكبره فيك أنك لم تظهر يوما أنك تقاسي شيئا .  
سأرجو ( ع ) بك أن يأذن لي في أسبوعين أفضيهما  
مع أهلي بكفر الشيخ ، وأظنه لن يمانع في ذلك ، لأنه يرى  
مقدار ما أبذل في عمله من الجهد ، فاني أقوم بعمل يقوم  
بمثله ثلاثة مشتركون في دائرة ( الباشا ) جاره ، وهو فوق  
ذلك رجل كريم النفس ، وصديق لوالد أخى فهيم ، وأراه  
لا يرد لي طلبا كأنما هو موسى بذلك .

٢١ أغسطس . أجبني الآن من المرور في الارض ، وقد  
صدق ظني في أن المعاشرة ستحبب الى الأرض الجديدة  
تدريجا ، فقد بدأت اعرف اطرافها ، واجد فيها جهات  
وحشية ، تمل لها نفسى ، لأنها مثل التي تركناها في الأرض  
الغربية الجميلة . وقد وجدت هنا لحسن الحظ بعض شوك  
العاقول بزهره الجميل ، وسمعت الزرزور يصيح نفس صيحته  
القديمة . واجمل بقعة في تلك الارض ساقية تحيط بها اشجار  
لبخ وجميز ، فتظل عليها ظلا جميلا ، تتخلله الريح وقت  
الاصيل ، فيكون المجلس تحتها جامعا من آيات الحسن

كثيراً ، وقد اخترت هذا المكان لأذهب اليه كل يوم  
بعد تجو الى ففيه مراح للنفس .

٢٢ أغسطس . قد انتهى تقسيم الارض بين الزارعين ،  
وعرف كل رجل الجهة التي سينزعها ، وسيشرع أبى في  
كتابة العقود عن قريب ، ونأمل أن يكون لنا من وراء  
هذا العمل ربح كثير هذا العام ، وسيكون الربح في  
الأعوام الآتية أعظم .

ما أحق هذا الرجل المستأجر القديم للأرض ، إذ يزعم  
أنه سيخرجنا منها ، ويلوح لى أن حزنه على لقمة ضاعت  
منه هو الذى يدفعه الى قواه . أن الفلاحين مسرورون من  
شروطنا ، فهم خير لهم من شروطه ، لأنه كان لا يترك  
لهم فرصة فى ربح إلا القليل الذى لا يفيد . ويلوح لى أيضاً  
أن وكيل الناظرة رجل سىء النية ، فهو يلصق لى من طرف  
خفى أنه قد اخطأ مع المستأجر القديم ، فلم يندره بتسليم  
الارض حسب الشرط ، وكأنه يطلب منى أن افكر مع  
والدى فى حل المشكلة على تعويض تأخذه نظير فسخ  
الأجارة برضانا ، ولكن ذلك لا يكون ، فإذا شاء المستأجر

القديم عاد عليه فقاضاه . أرى والدى قد زاد تعبهُ ، وقد اشترت عليه بالراحة ، ولا سيما وأنا موجود محله ، ولا يمكنه يحاول أن يستمر على العمل . ما أشجع نفسك يا أبى واكرمك ؛ أتى لم أدرك إيثارك حتى تفتحت عيناي ، وقدرت أن أفهم ، فإنه إيثار لا يدركه الكثير لأن صاحبه لا يتحدث به .

٢٥ اغسطس . لا يزال الوكيل يردد قوله الاول ، ولعله

يريد منى رشوة - ما أصعب معاملة الناس ؛ فقد كنت أظن أن ذلك لا يحتاج الى شىء سوى الاستقامة والصرامة والصدق ، ثم وجدت أن الأمر غير ذلك ، وأن معاملة الناس فن من الفنون ، وصناعة من الصناعات المعقدة التى تحتاج الى الخبرة والتجربة ، أن أبى دائماً يوصينى بأن ألتن جانبى ، ولكن طبعى غلاب ، وسأحاول أن اعمل بما يريد .

٢٩ اغسطس . بدأت اخاف لأنى مضطر الى السفر

بعد قليل ، واجد والدى قد زاد ضعفاً رغم راحة أيام ، وقد بدأ الوكيل يتنمر ويعاكس ، واخذ المستأجر القديم يهدد ، وأخشى أن أنكص أمامهما فيطمعا ، ولا أجد وسيلة أمامى .

استطيع بها أن اتفق معها ، لأنهما يريدان رجوعاً في  
الاتفاق وهذا لن يكون .

رب ارشدني فأني مضطرب صغير - لقد ادركت  
أني صغير الآن ، واني لا أقدر أن احل محل أبي . شفاك  
الله يا أبي عاجلاً .

٢٠ أغسطس . انا أخدع نفسي بالتعلل ، والحقيقة أن  
أبي مريض ، وليس الذي به تعباً يزول بالراحة ، فأني  
أراه يضمحل يوماً بعد يوم ، وقد جاء إليه طبيب واعطاه  
دواء أسأل الله أن يجعل فيه الشفاء والعافية .

أنا مضطرب للسفر بعد غد ، ولا بد أن أترك أبي وحده مع  
أهلي هنا بكفر الشيخ ، وارانى أحتاج من الخوف ، ويكاد  
قأبي ينخام كلما تصورت تلك الحال . فأنا وحدي في دسونس  
لا يستقر لي بال ، وأبي وحده هنا مريضاً وليس حوله إلا  
أمي وأختي ، وهما تحتاجان إلى من يقوم بحاجتهما ، ولست  
أدرى ماذا اصنع ، ولا علم لي بما سيكون ، ويكاد ثقل  
حمل الهم ينوء بي .

كلما فكرت لم اجد غير احدى وسيلتين : فأما ترك

«الوظيفة التي انا بها والتفرغ للعمل هنا بدل ابى ، واما ترك  
 «الاجارة والرجوع بأهلى الى دسونس كى اكون حاضراً  
 «إذا دعا الأمر الى معين. ولأظن أن ابى يقدر على ما تتطلبه  
 «الاجارة من مراقبة ومحاسبة مع مرضه، ولا سيما أن هذين  
 «اليومين المقبلين أول سنة الزراعة. ومما يزيد فى شدة الأمر  
 «معاكسة الوكيل وعداوة المستأجر القديم ، ولا ادرى كيف  
 «استميل الأول أو أترضى الثانى.

لقد حرت فى أمرى فاللهم هدايتك ، فقد عز الناصر  
 ..وقلت الحيلة .

١ سبتمبر . هأنا فى مدينة دسونس ، وخلفت أبى  
 «واهل فى كفر الشيخ ، ولأأقدر ان استقر ساعة - فاذا  
 «جلست مللت ، وإذا سرت ضجرت ، وإذا التمت السلاوة  
 «عجزت ، وإذا فكرت حممت ، وكل شىء حولى يؤلمنى ،  
 «حتى اكاد اختنق بالهواء الذى أستنشقه .

مالى كلما عزمت على أمر ، ولاح لى بريق أمل ،  
 «انقلب الأمل الى خيبة وألم ؟ اللهم إن كان هذا قضاءك  
 «فى فكما تشاء .



لا أجد من الفكر مناصا ، وكما فكرت تمثلي خطأي ،  
واضحاً ، لأنني أنا الذي تسرعت بنقل أهلي مع أبي ، وأنا  
الذي أشعلت النار في قلب أبي ، وقد كان في كسبي القليل  
مقنع لقانع . أنني لم أقدر أن يمرض أبي في مثل هذا الوقت .  
ولامثل تلك الظروف ، وكان الواجب عليّ أن أقدر ذلك .  
وأعمل له عدته ، ولكن متى كان عقل الانسان قادرا على  
السكّال لا يفوته خطأ ؟

إن مرض أبي لو تقدم شهرا لكان إنذارا كافيا ، ولكننا  
نقنع عند ذلك ونقلع عن ذلك السعي ، ولو تأخر شهرا آخر  
لكان في الأماكن أن يحضر إلى هنا بعد أن يكون قد  
انتهى كل شيء ، واستتب الأمر واستقرت الحال فلم يحدث  
المرض في هذا الوقت بعينه ، لا تقدم ولا تأخر ؟ أن هذا  
أمر الله الذي قدر على كل مرء رزقه ، وما شأن المنكود في  
السعي إلى السعة ؟ إن الشقي إذا حاول النجاة من شقائه  
وقع في شقاء أبلى مما هو فيه ، وهكذا قسمت الحظوظ بين  
الناس ولا عتاب ولا ملامة .

٣ - بتمبر . جاءني خطاب من اختي تطمئنني فيه على .

صحبة أبي ، ولكنني المح بين سطورده مالم تستطع أختي أن تخفيه - فإن نبرات لفظها تدل على الخوف ، وأكاد أسمعها من الطرس ، وأكاد أحس بخفقان قلبها وهي تكتب . وقد عاودتني اليوم مخاوفي أكثر قوة ، وعاد إلى هانقي . وهو الآن أعلى صوتا وأخوف إنذارا ، إذ يقول لي هذه المرة « أن أبي في خطر » . اللهم أهذا قضاءك في ؟ أكاد أختنق أو أهرم إلى هذه النافذة فأسلسكها إلى الهلاك ، فالنسيان النسيان إذا كان ممكنا .

سأتهز فرصة الغد يوم الجمعة ، فأذهب لأرى أبي فان قلبي يتمزق خوفا عليه .

٢٠ سبتمبر . جئت إلى والدي لأراه فوجدته كما قال الهاتف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله - وإن قلبي ليتحرق كلما رأيته راقدًا في مضجعه ، ويخيل لي أن أقعد إلى جانبه فلا أبرح مكاني ، بل اظل أقبل يده حتى تبرد تلك الحرقه . انه ينظر إلى نظرة تذيب الصخر ، فكيف تفعل بقلب ابن محب ؟ انني عندما لثمت يده اليوم شعرت كأن بردا نزل على صدري يخفف من لوعته ، وكأن الخطر الذي كنت قلقا من

اجله قد زال ، فأنى لا اشعر به الآن منذ رأيته ، ولو انه في حالة من الضعف عظيمة . ولا ادري لذلك من علة سوى ان قربى منه قد ابعده عن تصور حاله في الخيال ، والخيال هو مصدر رعبى والى فى كل طور من اطوار حياتى - فقد وجدت نفسى تستطيع ان تقابل الحقيقة بغير ضعف مهبها . كانت مؤلمة ، ولكنها اذا تصورت تلك الحقيقة فى الخيال ، لم تستطع الثبات بل اضطربت وجزعت . ولعل هذا سر من اسرار النفس البشرية لم اعرفه من قبل .

مسكين يا ابى ما كان انحل جسمك واخفت صوتك !  
 اأيام قليلة تفعل كل هذا ؟ وماذا فعل الطبيب واين اردوائه ؟  
 ايها الطبيب ، ارجع لى ابى الذى كان يسير الى جانبى ، ارجع لى ابى الذى استشفى بطبك ، اذهبت حيلتك ؟ وهل عجزت ؟  
 وهل تلك إرادة الله ؟ لقد تشدد عندما رأتى ، ولكنه لم يلبث أن عاد اليه الضعف أبلغ مما كان . . . ويلاه ! ماذا أصنع ، وقد حتم على أن أسافر إلى عملى اليوم وأتركه على حاله هذه ، ولا أستطيع غير ذلك ، لأننى لا أقدر أن انقطع عن العمل الآن ، وقد سبق انقطاعى عنه مدة طويلة منذ

أيام . ولا غنى لنا عن ذلك العمل ، إذ فيه رزقنا ، ولا أقدر  
على تضيقه مع ما نحن فيه ، وإذن فلا بد من تحمل ما جعل  
الله لي في حياتي من الآلام التي تتكشف لي واحد فواحد .  
ما كان أخف جسم أبي عند ما حملته لأصعده به على السريير  
ولأنزل به عنه ، وما كان أضعف صوته عندما كان يقول لي  
« حفظك الله يا بني العزيز » وما كان أثقل طرفه إذ كان ينظر  
نحوي وكأنني به يريد أن يشبع عينه من النظر إلي . قبلت  
يده والقلب خافق ، وجالت في عيني دمة أخفيتها خوف  
أن يتألم لألمي ، ووددت لو كنت أقضي العمر على مثل تلك  
القبل الحارة ، أو لو بقيت إلى جانبه لأحمله كلما أراد حركة  
فانه لا يقوى عليها وحده ، ولكن أواه ! إنها الحاجة ترغمني  
على الذهاب إلى دسونس . اللهم رفيقاً بي . وأبي ! وأبي !  
مساء اليوم . سألت أبي بشأن الأجرة ، وباليتمني لم أفعل .  
لأنه قال لي عند ذلك : « أنت ترى بعينك يا بني أنني لا أقدر  
على العمل الآن ، وهكذا شاء الله . إنك يا بني مسكين ،  
وأنا متألم من أجلك ، ولكن يجب أن تكون رجلاً وثق .  
بالله رغم كل ما يلوح لك من سوء حالك وقلة حظك ،

فإن له في كل كارثة نعمة ، وفي كل مصيبة لطفاً خفياً ، ثق به فإنه عمادك ومساعدك . وأنى أظنك لا تقدر على العمل مع هؤلاء القوم ، وأنا أعرف الناس بهم ، فلنترك لهم هذه الصفة ، فهذا ما أراد الله . وإذا كان في الأجل مهلة . ( وسكت عند ذلك دقيقه كأنما كان يبكي بكاء داخلياً ) أقول إذا كان في الأجل مهلة « كان غيرها خيراً منها »

لقد بكيت ولم أستطع أن أكتبكم إلى عنده هذه الكلمات ، وإن نفسى حائرة لا أدرى ماذا أفعل ، وأجد ذلك الشعور بالثقت قد غلب على كل مشاعري . لقد ودعت أبى ، وقال لى « لعل أراك ثانياً يا أبى » . وكيف يكون مصابى لو لم أرك ثانياً يا أبى ؟ لا قدر ذلك .

٦ سبتمبر . لا أزال أتذكر كيف كانت قبلى الأخيرة

ليد أبى عندما ودعته قبل سفرى - لقد كانت طويلة خنقتنى فيها عبء لم أتمالك نفسى منها ، فقطعت القبلة قبل الاكتفاء ولازلت منذ الأمس مع أبى فى الخيال ، صاحباً كنت أو ناعماً ، واليوم قد اتانى من اختى خطاب نجهد فيه أن تخفى عنى الحال ، واسكنها لم تستطع ، لأنى

قرأت بين سطوره ما لم يخف على الروح رغم خفائه عن  
العين . ما اضيق الفضاء بنفسى وما اشد شوقى اليك يا ابى .  
لكان نارا تتأجج بين ضلوعى وينور لهيها ما بين عيني .

٨ سبتمبر . هل يكون ما تخبر به الاحلام؟ فقد حامت  
بالأمس كأنى ارى أبى وهو يحادثنى صيحجا قويا فى الوجه  
مملوء الجسم - يكلمنى ويضحك كما كان يفعل ايام كنت  
صبيا فى المرة الاولى فى دسونس . وكأنه كان يحمل فى يده  
الساعة التى أعطانها يوم نجحت فى امتحان الدراسة  
الابتدائية ، ويقول لى « هذه جائزتك يا محمد لنجاحك ،  
وقد احترت لك الساعة لكى تنظم وقتك ، فقد اصبح الآن  
ثمينا ، لأنك صرت من تلاميذ المدارس الثانوية » . إن  
هذه الالفاظ احييت فى ذاكرتى ايام الحياة الأولى - ايام  
الصبا والسرور والسعة - ولكن واسفاه ! فأنها تحمل  
أيضا ذكرى النكبة التى حلت بأبى عقب ذلك بقليل - لست  
ادرى هل تضح الاحلام فأرى أبى ثانيا وقد تعافى وشفى  
من مرضه ؟ وما حلى ذلك الأمل لو تحقق !

جمعانى هذا الحلم اراجع نفسى فى مخاوفها ، وأقول لعلها

مخاوف كاذبة قد دفعني الخيال اليها لفرط حذري وشدة حبي،  
ولكنني أرى نفسي غير مستريحة برغم كل تعلل وكل مراجعة.  
٩ سبتمبر . ماذا آكل اليوم؟ أننى لأجد فى المدينة  
أكلًا ملائمًا، ولا أقدر على عمل شئ، لنفسى، وأننى أرى  
أننى حقير ضعيف إذا وازنت بين نفسى وبين أحد الأعراب  
أو أحد الرواد، الذين يجوبون القفار لا تدمم المدينة بشئ.  
من عددها ولا نعيمها، ويعيشون بأنفسهم سنين طويلة مما  
يصيدون ويصنعون بأيديهم. وأننى أظن الرجولة لا تقيم  
الإنسان إلا إذا عرف كيف يعيش وحده من الطبيعة ومع  
الطبيعة، بغير مساعدة الناس له، فمن قدر على الحياة مستقلا،  
كان ولا شك نام القوى وافر الرجولة ولكن وبالأسف  
لم ننشأ إلا على الاتكال، ولم نتعلم من عدة الحياة إلا بعض  
الفاظ نحفظها، أو بعض حقائق نفهمها، وأما الحياة نفسها -  
حياة الرجل، فلانستعد لها بشئ. وأغرب ما أرى أن الناس  
لا يريدون أن يفهموا ذلك، وإن أقل تفكير يظهر لهم صدق  
هذه الحقيقة، ولكنهم كما أقول لا يريدون أن يفكروا  
ولا أن يفهموا.

فلا بد ان ابدأ بتعليم نفسي، ورياضتها على هذه الحياة  
ولأبدأ منذ اليوم بقدر ما أستطيع، وسيكون لي اكبر باعث  
على العناية، لأنني إذا أهملت عاد الأهمال على، ولأبدأ  
اليوم بطبخ شيء من البطاطس واللحم، ولا بد من اكله  
ولو كان محروقاً كريحه الطعم، حتى احذق الطبخ.

ولكن ما هذا الذي يقرع الباب؟ انه خادم (ع)  
بك - ماله داخلا كذلك واجا ساكننا؟ وماذا اتى به الآن  
فقد كنت الساعة عند (ع) بك، ولا أظن شيئاً جديداً  
خطيراً قد طرأ عليه حتى يدعوني اليه بعد هذه الفترة.  
القصيرة. أن الرجل - ويله - يتقدم نحوى ساكننا، وهو  
يمد يده الى ما هذا؟ - إنه ...

١٤ سبتمبر. لقد سقط العلم من يدي في آخر ما كتبت،  
في اليوم السالف، عندما رأيت ذلك الناظر المشؤوم في  
يد الخادم.

وقد انتهى الآن كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.  
ولم احضر وفاة أبي، ولم أره قبل موته، فواحر قلباه! إن  
الحزن في نفسي أعمق من الدمع، وهو يكاد ينفجر بقلبي ..



لقد كانت قبلا تلى التى قبلتها يده آخر ما قدر لى منه فى هذه الحياة ، فهل كنت أعلم ذلك ؟ وإن قلبى كان يتحرق وقتذاك ، وأنا أكاد الصق صمغحة وجهى بظهر يده ، ولا أدعها ، فهل كنت أشعر إذ ذاك بما كان مخبوءاً فى الغيب . وبأن تلك المرة آخر مرة أراه فيها على ظهر الثرى ؟ وهل كان هذا سر اضطرابى وقلقى عند وداعه تلك المرة ؟

قد انتهت يا أبى معاشره طويلة بيننا ، وتخلفت عنى وتركتنى وحدى فى هذه الحياة ، أقامى وحشتها منك ، وخلوها من قلب عاطف مؤثر محب . وإننى لا أذكر لحظة من حياتى خالية منك — فأنتك تملأ حياة طفولتى وصباى . وأنت محور حياة شبابى ، وأنت صديق جهادى وعملى ، دخلنا كلانا فى ميدان تركتك فيه صريعاً ، وأقطعه الآن . وحدى وسط بيداء قاحلة هذا أنت يا أبى معى كأننا راجعان من معاينة الأرض ، وهذا أنت كأننى أنا ذيك وتنادينى ، وهذا أنت كأنك تبسم لى وتمزح بداعتك التى اعتدتها منك ، وهذا أنت كأننا نحن جالوس حول الموقد أيام كنت طفلاً ، نشوى الكستنة ونضحك ونمرح . هذا أنت معى

في كل عصر، أفتذهب عنى كذلك وأبقى أنا وحدى في  
الحياة؟ أهلكذا يسقط الناس بعضهم عن بعض كورق  
الشجر في الخريف؟ وهكذا يتخلف الرجل عن محبوب مرغماً؟  
خلفوني وقد عامت يقيناً . ما لمن ذاق ميتة من إياب  
فلى الويل بعدهم وعليهم صرت فرداً وماني أصحابي  
عليك من الله رحمة بقدر ما هطل من قطر على الأرض  
منذ خلقت، وأفسح لك من رضائه جنات عرضها السموات  
والأرض، وإلى الله يا أباي نفسك الظاهرة السخية، وإنا  
لله وإنا إليه راجعون .

١٥ سبتمبر . لا فائدة من طول بقاء أهلي في كفر  
الشيخ بعد إذ كان ما كان، ولا بد من نقلهم معي إلى  
دسونس، وإسكن لا أستطيع ذلك إلا آخر الشهر . أحاول  
أن أعزى نفسي، وأن أنسى فداحة مصابي، ولكن  
لا أجد سبيلاً إلى ذلك . فكلمت مع العقل شوطاً،  
غلبتني العاطفة، فوجدت نفسي في طوفان من حزن عميق  
وليس من عزاء عندي أكبر من أن أفكر في لقاء أبي بعد  
هذه الحياة، في عالم السعادة الأبدية والخلود .

١٦ سبتمبر . لست ادرى ما جزعى هذا ؟ وما فائدة

حزن لا يعيد ماضى ؟ ولمن البقاء فى هذا العالم ؟ ليت العقل يغلب القلب فيذهب بكثير من هموم هذه الدنيا وأشجانها ، لأن الانسان إذا استطاع أن يقنع نفسه بعقيدة زوال هذا العالم ، وأن كل شىء فيه الى فناء ، احتقر كل ما يتعلق به ، ولم يجد فيه شيئا يحزن عليه . ولكن هيهات أن يتذكر الانسان هذا ساعة ثورته ، فإنه إذا صدم انساها شعور ألمه كل تفكير وكل حقيقة أخرى غير ألمه .

١٧ سبتمبر . مازلت كل يوم ازداد اعتقادا فى حقارة

تلك الحياة ، وكما فكرت فى الانسان وما يعمل فى حياته ، زدت استخفافا به ونقصا منه - إنه يأمل فى سعادة يسعى اليها ، ويحرص على مادة نالهها ، أو يدأب فى تحصيلها ، ويفرح لنصر يناله ، ويحزن لخسارة تحل به ، وما آخر كل هذا ؟ اليس كل حياته بعض دورات من دورات الفلك ، ثم يصبح فى بطن الثرى ترابا كما كان قبل الحياة ؟ إن هذه حقيقة بسيطة ، يعرفها كل انسان ، ولكن لا يتحققها أحد ، ولا يشعر بها شعورا قويا إلا الأقل ، وعندى أن أعلى

درجة يبلغها الإنسان، أن يصبح مع أبي العلاء في ملته إذ يقول:  
غير مجد في ماتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد  
ولكن هل يستطيع الإنسان أن يكون كذلك؟

وقد رأيت بالأمس طفلاً أعمى، يدب على عصا،  
وهو لم يتجاوز السلم الأولى للحياة. ورأيت آخر، وقد  
ذهب باصابعه داء موروث عن أهله. فسألت نفسي ما معنى  
الحياة لمثل هؤلاء؟ أهى حياة سائر الناس، أم قد حرموا  
ما حبا الله به آخرين؟ فوجدت نفسي بين أحد قولين إما  
أن هؤلاء قد ظلموا إذ حرموا في قسمة الحظوظ مما تنبع  
به غيرهم، وذلك ظلم منكر، وإما أن النظر والصحة والمال  
ليست بشيء، وأن الحياة ومتعلقاتها ومظاهرها كلها أعراض  
هينة، لا عبرة بها، سواء نعيمها وبؤسها، وإني أميل إلى  
القول الآخر، تعالى الله عن الظلم والجور، فالحياة، كما بدا  
لي من قبل، واجب، علينا أدائه، والحياة التعمسة تمضي  
كما تمضي الرعدة، ولا عبرة بما بين الميلاد والموت من  
الحالات، فما هي إلا مشية المسافر نحو مستقره

١٨ سبتمبر. نقول إن الدنيا لنا، وإننا أهلها، وإننا

ما السكو هذه الأرض . ويل لغرور الانسان وعماه ؟ —  
 وقفت بالأمس عند الغروب ، وكانت الشمس تصبغ  
 السحاب باللون الأحمر البديع ، الذى يأخذ بالنفوس ، وإلى  
 جانب ذلك لون السماء الأزرق الصافى ، الذى تهدأ العين  
 عند التطلمع اليه . فأخذت أفكر فى جمال هذا المنظر ، حتى  
 هممت بالركوع خشوعاً وإجلالاً للخالق المبدع لتلك الكائنات  
 وعند ذلك ذكرت الماضى من الأجيال ، وأخذت أستعيد  
 فى خيالى كيف كان أهائى يقفون كما أنا واقف ، ويرون  
 ما أرى ، ويقولون هذه أرضنا ، وتلك سماءنا ، وهاتيك  
 شمسنا ، كما أقول أنا اليوم . وما زلت أنتقل فى الخيال ، حتى تمثل  
 لى المصرى القديم ، وهو واقف فى حقله يزرع ويقلع ويغنى ،  
 حتى إذا ما غربت الشمس ، كما هى غاربة أمائى ، ركع إجلالاً  
 وخشوعاً كما هممت أن أفعل ، وتصويرته وهو يقول ، « هذه  
 أرضى وتلك سماءى وهاتيك الشمس الهى ذاهب إلى عالم الآخرة  
 حيث سأذهب بعد موتى ، فآلقاه قد استعد بنعيمه للقائى »  
 وظلمت كذلك ، أتصور حاله وهيئته وقوله ، ثم انتهت الى  
 نفسى فوجدتني واقفاً فى مكان كان هو به من زمن ، وإذا

به قد بلى وذهب ، وتبدلت الأزمان ، وسار في موطن ، قدمه .  
 أم عدد الحصى ، حتى وقفت أنا به ، ولا أزال أفكر كما كان .  
 يفكر وأحسب أن الأرض أرضي والسماء سمائي . حقا إن  
 الإنسان لا يفكر عميقا ولا يتعظ ، وهذا طبع فيه لا يقدر أن  
 يتخلص منه ، فهو باق عليه يحيا كما عاش من سبقه ، ويتبع نفسه  
 كما تسول له ، حتى يلحق السابقين إلى الفناء . ولا بأس بذلك ،  
 فإن الإنسان خلق ليحيا ويطيع نفسه ولا حيلة له في الطبع .  
 وقد رجعت إلى ديواني المحبوب فقلبت صفحاته فوجدت  
 فيها قطعة كأنه يترجم بها عن نفسى هذه المرأة أيضا ، وهامى :  
 تلك الصبا هبت وهذا الربيع جأله الزهر شوب ينيع  
 ونفحة تشفى الفؤاد الوجيع  
 والشرق يستقبل بدر الدجى  
 والغرب قد صُرج ما صُرجا  
 قد لفت هذا الـكون حسن بديع  
 وسجدة تملأ جوف الفضاء  
 يا حسنها - كيف يذوب الغناء ،  
 كأنها لحن ملاك السماء

وقفت بالنيل مزار الشجون  
تجيش بي الآمال شتى الفنون  
والحسن داء نازأى داء

هل تنقضى أيام هذا الشباب  
وهل تعالت المنى للذهاب  
يا ليت شعري ما الغد المستراب

للتفس آمال طوال المدى  
وجرة للمجد لن تخمدا  
لكن في الماضي عظات عجاب

ذكرت رمسيس على جحفل  
كأنه ستر الدجى المسبل  
متثدا كالهيدب المقبل

يسير في الناس عزيز الجناب  
في شرف الملك وعز الشباب  
ترمقه الأعين لا تمتلي

فقال إذ أعجبه الرونق  
 لمن تحلى الغرب والمشرق  
 ومن له يخفق ما يخفق

أكان غیری فی الوری سید  
 وهل سیدوی عودی الأملد  
 أحسب هذا الملك لا يخاق  
 لكن تولى الملك واستحالا  
 وبذل الدهر بحال حالا  
 لم يبق إلا قصصا أمثالا

وإني اليوم كمتلك العصور  
 أختال في برد الصبأ والغرور  
 وأبتنى فوق السها آملا  
 لا تبعن النفس فيما ترى  
 أضرب في الآمال مستهترا  
 وفي غد أمضى كهذا الوری

١٩ سبتمبر. لم لا يترك الإنسان هذه الحقائق المادية



ويعيش وحده في عالم الخيال قانعا بأفقه الداخلي؛ فإن  
 رغبات النفس إذا لم نستطع الحصول عليها انقلبت إلى  
 الام حادة، ولكن عيش الخيال لا توجد فيه تلك الخيبة  
 التي كثيرا ما نلقى في عالم المادة. فكل شيء ممكن في  
 الخيال، ولا يستحيل فيه شيء، فإذا شئت كنت فيه ملكا  
 مطاعا مثل رمسيس أو الإسكندر أو نابليون، ولو شئت  
 كنت فيه رب ثراء لا أعجز عن شيء، فأعلى إلا أن اصور  
 نفسي في مكان هذا أو ذاك، واتخذ من الخيال جنودا  
 وانصارا، وأبني فيه مجدا وعزا، وسطوة وصولا، فلا  
 تبعد على نفسي رغبة ولا أعجز عن بلوغ غاية، بل أضرب  
 فيه مطلقا حرا.

يقولون ولكن الخيال شيء غير محسوس، ولا وجود  
 له إلا في الوهم ولا يلبث الوهم أن يزول. نعم ولكن ألا  
 ينعم فيه الانسان حيناً؟ وهل هناك فرق بين ما يتركه  
 نعيم الخيال من الأثر في النفس وبين ما يتركه نعيم المادة؟  
 وإذا كان الخيال يزول، فهل حياة المادة دائمة؟  
 لقد سبحت في خيالي مطمئن البال، وحولي من كل

صنوف السعة والوفر ما تقر عيني به ، فأنا مع امي واختي  
 في منزل صغير حوله حديقة الفسيحة ، تحوى من الاشجار  
 والرياحين ما يلذ ويطيب ، والتمر يرسل عليها نوره الفضى  
 وانا جالس اقرأ على ضوء مصباح كهربائى قوى وعدا من  
 صديق بزيارة ، وقد جاء الصباح بعد قليل ، وجلس معي  
 يحدثني احاديث مختلفة ، حتى جاء وقت العشاء ، فجهز لنا من  
 المأكول أطيبه ، فاكلنا مع جماعة من الزائرين ، وجلسنا  
 بعد ذلك في سمر حلو وفكاهة ، نتناول مختلف الاحاديث  
 ونأخذ منها من كل زهرة قطرة . وياليت كانت حياتي كلها  
 في ذلك الخيال ، أو ياليت الحقيقة تخفى على أو يضرب يدي  
 وبينها حجاب صفيق فلا يخرق .

ان تلك جولة لم تدم ، فصحوت منها لأجد نفسي في  
 قاعى قبيل الغروب ، والظلام مقبل بوحشته ، والهواء راكد  
 خائق وانا وحدى ، وامى واختي وحدهما في بلدنا ، والفقير  
 معي بئس الرفيق ، والأمل لا يكاد يدب الى نفسى من  
 ناحية ما . فما اوسع الشقة بين نكد الحقيقة وسعادة الخيال  
٣٠ سبتمبر . جاءنى من اختي خطاب تطلب فيه بعض

اشياء ضرورية للسفر ، وسأجهد لعلى استطيع ان ارسل  
 لها ما تطلب ، فهذا السفر لا بد منه . ولكنى أجد يدي  
 قصيرة لأن مرض والدى رحمه الله ، وما احتجنا اليه عند  
 وفاته ، استنفد ما كان لدينا من المال الذى ارسله عمى من  
 ثمن الارض ، والوظيفة التى أخذها لا يبقى منها بعد القوت  
 شىء للدخار ، فلا مناص من سؤال فھيم هذه المرة أيضاً .  
 ويلاه ما أشد كل ذلك على نفسى ! إذ أرانى دائماً فى مقام  
 الطالب حتى لكأنه قد حتم على أن تبقى يدي السفلى . وفى  
 ذلك منتهى الشقاء لمن كانت نفسه مثل نفسى فأنت التفضل  
 منى ، وأنا على ذلك العجز ؟ وأين الإباء والكرامة والشھم  
 اذا كنت مضطراً إلى السؤال ولو كان ذلك لأعزأ صدقائى ! فان  
 الكرامة اذا جرحت ولو أمام واحد ، كانت كرامة مجروحة  
 نافضة . فما أقبح الفقر وأشد اساره ! انى لا أطبق التفكير فيه  
 رغم كل تعال وكل فلسفة ، وأكاد أختنق كلما رأيت عجزى ظاهراً  
 لعينى ، لأننى أنزع الى الكرم والى الحرية والى العزة  
 والافضال ، ولا أستطيع شيئاً من ذلك بل أجدنى أهوى  
 مع الحاجة برغمنى الى السؤال والأسر والذلة .

٢٥ سبتمبر . أرسلت بالأمر ما طلبته اختي ، وأتوقع الآن مجي ، أهلي الى بعد هذا الافتراق المشؤم ، وأظن أن ذلك السفر يتطلب شيئاً من المال ، وعلى زيادة على هذا ديون متنوعة ، ولا أقدر على سدادها ولا سيما في هذه الأيام أيام الغلاء ، الذي يزداد يوماً بعد يوم . فأجدني مضطراً لأن أرسل لعمي أو لأحد القريبيين منه . لأطلب بعض مالنا عنده من المال ولا بأس بذلك فاني سأطلب حقاً لي ، وهو يعرف الحال السيئة التي أنا فيها ، ولا أظن إلا أنه سيبادر الى الاجابة ، لأن قلبه الاخوى لا بد قد حزن لفقد أخيه ، وأنبه على إيلاسه وأذاه ، ولعله يفكر في محو الاساءة إلى أخيه بالاحسان الى أبنائه ، أقول الاحسان ؟ وهل أصبح أداء الحق إحساناً ؟

٢٩ سبتمبر . هاقد استقررت بعد طول الاضطراب ، وأراني أبسم بعد العبوس الذي لازمني حتى كأنه طبع في وجهي . أبسم إذ أرى امي واختي إلى جانبي مرة أخرى ، وهما مابقي لي في الحياة مما أضمن به . مرحباً إلى قلبي المسكواهم

نعيش معاً نتقاسم ما جعل الله لنا من رزق ، ونعاون على  
ما يرسل الدهر من مصاب .

انى لا يخلو لى ليل من حلم ، ولا يخلو حلم من رؤية  
أبى ، فاذا صحوت لم تزل ذكر اه ماثلة فى عقلى ، وقت سرورى  
وساعة ألمى ، إذا اشتد الحر وإذا هب النسيم البابل ، إذا  
أظلم الليل وإذا سطع البدر ، وإذا غربت الشمس أو لاح  
النجم أو تنفس الصبح . فقد كانت معاشره طويله ذقنا بهامعاً  
صنوف المشاعر ، وبأونا فيها تصارييف الدهر جنباً إلى جنب .  
لقد ارسلت اليوم الخطاب إلى عمى ولعله يفيد .

٣٠ سبتمبر . بدأ الخريف منذ أيام ، وقد أخذ الجو  
يرد فى هذه المدينة أسرع مما يبدأ ذلك فى الجنوب ، وأرى  
ثياب امى واختى لا تدفع عنهما البرد ، ولكنهما لا تطلبان  
غيرها خوفاً من إحراج صدرى

يالىت دمع العين يجدى ، فأبكى حتى أسيل قلبى وأخرج  
من تلك الحياة ، ولكنى لو فعلت لم يعد ذلك بفائدة ، بل  
لكان فى ذلك كل الضرر لو أصبح أهلى بغيرى ، ولا مستند  
لهم إلا على الضعيف .

إن الإنسان قد يستطيع أن يتحمل ما يصيبه في نفسه  
ولكنه لا يقدر أن يهون على نفسه وقع ما ينزل بمن يحب.  
كيف بنى الآن لو مرضت أو عجزت عن العمل ؟  
أيوت أهلى جوعاً ؟ أم أتركهم لحماية المجتمع ورأفته ؟ حقاً  
إلنه مجتمع كريم رؤوف . إن قسوته ماثلة أمام عيني في كل  
وقت ، حتى لقد ظننت سوءاً بالطبع الإنسانى من أجل  
ذلك ، لأننى أرى الناس يلذون رؤية الشقاء فى غيرهم ، ولا  
يفعلون الخير إلا مرااةً وخداة ، ولهذا أجد أن خير حظ  
يناله أهلى إذا أنا هلك أن يهلكوا معى .

١١ أكتوبر . ما أعجب تقلب الإنسان وتغيره بين حين  
 وآخر ! فهو فى ساعة ضنين بالحياة وفى أخرى زاهد فيها ،  
حتى ليخيل لى أن أفكاره تتقلب مع تقلب الجو ومع تغير  
الفصول والأحوال ، وأرى فى نفسى ذلك واضحاً ، وكأنها  
مرآة ينطبع فيها حال الطبيعة .

كانت ليلة الأمس غاية فى الجمال ، فسرى عنى فيها  
كثير من هموم الماضى ، وهذا ما أجده دائماً إذا تركت  
القمر والسماء الصافية والنسيم البارد ، فكان ذلك الهدوء

وهذا الجمال يظهران للنفس حقيقة معنى الحياة، ويكشفان  
 عنها مظاهر الانسانية، تلك المظاهر التي خلقها الانسان  
 ليعبدها، فيتضح لها الوجود على حقيقته، وتظهر الحياة  
 مجردة عن ضلالها وزخرفها، وهنالك يجد آمنالى ممن حرموا  
 مادة الدنيا وحطامها، أنهم من الأحياء، وأن في الطبيعة  
 لذات لهم لا يذوقها غيرهم من أهل الجاه العريض. إن الانسان  
 لا يتمالك أن يعتقد زوال هذه الحياة وبطلانها وحقارة ما فيها،  
 إذا هو تأمل ما في الكون الواسع من آيات الله القدير .  
 لقد خرجت بالأمس الى الفضاء ونفسي تتقل على حجر ،  
 وجلت بين الحقول أقلب طرفي في جمالها، وأسرح نظري  
 في غدرانها وأغصانها، حتى هدأت ثائرتي وتبدل جوى نفسي  
 الى نور يهديها، فعدت بعد هذه الجولة وفي نفسي عبر مما  
 رأيت ، وراحة من أثر ذلك المنظر الجميل الذي أشبعت  
 روحي من محاسنه، ورويتها من تأمل بدائعه ومن العجيب  
 أنى عدت إلى منزلي فوجدت في ديواني قطعة كأنها تترجم  
 عن نفسي — حتى لقد أصبحت أعتقد أن ذلك الشاعر المجهول  
 كان يحمل قلباً مثل قلبي ويظهر بعين كأنها ديني، وهامى

القطعة وعنوانها ( سر الحسن ) وهى قريبة فى روحها ومعناها  
من القطعة الأولى التى ذكرتها من قبل :

لا زلت تجرى يانسيم الشمال	معطر الأنفاس
وتنثنى يا غصن بين الظلال	بعودك المياس
والأرض فى زينتها تزدهى	بجولة السحر
تمتع العين بما تشتهى	من باسّم الزهر
والنيل ينساب بمنهاجه	يلعب الحباب
يرافق النور بأمواجه	كالؤلؤ المذاب
ودون واديه رمال الفلا	فسريحة الفضاء
لا تستقر العين فيها على	مثنوى سوى هواء
بدائع شتى وآياتها	جليلة السر
حسبى من اللؤلؤ ذاتها	وعبرة الفكر

\* \*

لصفحة الشرق إذا أسفرت	عن نفس الصبح
ونسمة الريح إذا ما جرت	ساحرة النفع
وزهرة فى الشوك مهجورة	باسمة الشفر
وقطرات الطل منشورة	تسخر بالدر



أطيب ما يدرك من لذة شعاعها قدسى  
 رسيسها يبقى على حدة يثور بالنفس  
 والحسن لم يخلاق لبطل ولا لعبث الهازل  
 فنوره الأبلج وحى العلا للمثل الكامل

١٢ أكتوبر . تزيد في نفسى فكرة زوال العالم وضوحا  
 كل يوم ، وكلما خرجت إلى ذلك الفضاء الجليل ، ورأيت  
 نجومه البعيدة وبدره السنى ، خيل الى أنى وسط عوالم  
 حية خالدة تنظر إلى وتضحك إذ ترائى ذلك الإنسان  
 المغرور الجاهل الذى لا يفهم ولا يتعظ . فقد مضى من الناس  
 جيل بعد جيل ، جاءوا إلى العالم وعاشوا فيه حيناً ، ثم  
 ذهبوا إلى حيث لا يرجع الناهب ، بعد حياة مملوءة بالآمال  
 والعواطف المختلفة ، من حب وكره ، وطمع ورغبات .  
 وماذا جنوا من كل ذلك ؟ وماذا تخلف من آمالهم ورغباتهم ؟  
 يعلم كل الناس أن كل هذه الآمال زائلة باطلة ، وهم  
 مع ذلك يأملون ويرغبون ، ولا يتعظون بما ترى  
 أعينهم من أمثلة الماضى . وهأنا واحد منهم لا أزال  
 آمل وأرغب ، مع أيقانى بزوال هذه الحياة وبطلان ما فيها

من نعيم وزخرف . انى كثيرا ما افكر فى هذا فلا يزالنى  
 الفكر حتى أقع فى حلم يقظة ، وتمر امامى اشباح الماضى ،  
 وأرى كائى فى منفيس او فى طيبة أو فى غيرها من العواصم  
 المصرية القديمة ، أشاهد آثار المجد والعظمة ، واتطاع الى  
 القصور الشاهقة والحدائق الغناء ، وأنظر الى الجلال والجمال  
 فى عُدُوّ ودواح ، ثم ما ألبث أن أصحو فأنظر حولى فلا  
 أجد إلا البدر يسطع على الحقول التى حولى وأنا وحيد فى  
 وسطها . وقد حدث مثل هذا ليلة الأمس فجاشت بنفسى  
 الخواطر حتى ازدحم بها صدرى ، ثم عدت إلى منزلى فوجدت  
 قطعة اخرى فى ديوانى المحبوب تمثل زوال العالم فى صورة  
 كانت أقرب شىء الى الصورة التى فى خاطرى ، وهى :

النجم يرعانى وأرعاه	قد يمكر الجلاس إله
أبشه من زفرائى وما	لغيره يأمن أوأه
والبدر فى الليل رفيق الخطا	يضىء أقصاه وأدناه
تلوح فيه الارض موشية	من أقصر النبات واسماه
لمثل ما البصر من منظر	تغفر للدهر خطاياها

وساحرا لا جفان حلوا للمنى	ضعيف كثر الطرف تياها
حديثه مثل ديبب المنى	يبسم والدر ثناياها
حسبى من اللذة انفاسه	ومن رضى العيش لقياسه
قد تمت الغبطة فى ليلة	قل لها فى الدهر أشباه
والعيش إلا ما يلد الفتى	ونعمة الحسن قُصاراه

\* \*

لكن برغى سنحت عبرة	وكل حال فيه ذكراه
كأننى أبصر دهرأ مضى	مما رأى البدر بمسراه
ها تيك منفيس بها ما بها	من شاهق القصر وأعلاه
بلوح عن بعد بها وكب	أخراه لا تبدو لأولاه
حتى إذا أبصرت أعلامه	وخرت الناس للقيام
عرفت رب الملك فى عرشه	حسبك منه خبر سيمام

\* \*

وذاك فى طيبة قصر سما	يضىء فيه العز والجمام
وربه يختال بين الربى	نوارها يزهو بريام
وحوله من كل حورية	يأخذ عنها الخير مغنم

أذا كان البدر في افقه كما أرى الساعة لألاه

\*\*\*

واليوم لا قصر ولا روضة إلا طلالاً من بقاياها  
والبدر ما زال على عهدہ كأنما لم يعف مغناه  
٣ أكتوبر. إن نفسى قلقة. فاذا جلست إليها اناقشها  
عن علة قلقها لم اجد إلا إيهاماً وغموضاً. فهل ضاق صدرى  
لوحشة من حب؟ لا، فإن الحب يفيض منى وعلى، وهذه  
أُمى وأختى ما أحب أحد أحداً كما أحبتهما وأحبتهن. وهل  
هذا الضيق من كدر العيش وصعوبته؟ ولكن أليست  
الذى يتعلل بصغر قدر هذه المادة، وزوال النعيم، وبطلان  
زخرف تلك الحياة؟ أم ذلك القلق نتيجة لهذه السحب  
المتراكمة في السماء، تغطي نجومه وبدره، ولهذا الهواء  
الشديد الذي يهب كأنه يئن في هبوبة؟ لست أدري أى  
هذه العلل قد أحدثت ذلك الأثر بنفسي، ولا يمكن على أى  
حال لأرى في الحياة خطباً يحمل بي أن أقلق له ذلك القلق،  
فقد شهدت أن أكبر المصائب إذا نزلت بالإنسان أمكنه  
أن يتحملها، ولم يضق حين بكارثة دهرته، وما أكبر خطب أتوقع؟

فانى لا أملك شيئاً يمكن أن أفقده ، فليس من نازلة تنزل  
 بنى ألا الموت ومرحباً به ، فلقد كنت فيما مضى أخشى على  
 أهلى إذا أنا مت أن ينالهم سوء ، ولكن أجبنى هذه  
 الأيام أقل خوفاً مما كنت ، لأننى كنت مبالغاً فى مصابهم  
 فى إذا أنا قضيت ، وسيخلفنى فيهم الله وهو لا يترك ضعيفاً  
 ولا يتخلى عن لاجىء مستصرخ .

٤ أكتوبر . رب أهكذا قضيت فى خلقك ؟ . إن فى  
 الناس من هم أشد منى بؤساً ، وهذا مما يزيد ألى ، لأننى  
 أتألم لنفسى ولغيرى .

دهمت اليوم عربة لعظيم من عظماء المدينة رجلاً من  
 الفقراء فأماته ، وهذا الرجل أعرفه ، فهو أعمى فقد بصره  
 وهو شاب على أثر مرض الجدري ، نندما عجز أهله عن  
 مداواته ، وكان أبوه صانع أوان صفيحية ، فبقى الولد كلا  
 على والده حتى مات فأصبح يتردد بين أحياء البلد يسأل  
 الناس ، فيعطيه الفقراء مما عندهم إذ كانوا يعرفونه منسذ  
 صغره . وقد عدت الحادثة قضاء وقدرًا ، فلم يكن لذوى  
 الرجل من دية إلا مالا يسيراً تفضل به القاتل عليهم . ولست

أدري لم أحزن لهذا الرجل وكان حرياً بي أن أسر له، لأنه  
تخلص من حياة منكودة شقية. إلا أنى مع ذلك لأتمالك  
أن أفكر فى تقسيم الحظوظ إذا أنا ذكرته، فبينما يعيش  
أحدهم فى تراث آبائه، لا يكبد فى شيء، بل يقضى كل وقته  
فى تلذذ وترف، نرى الآخر يعيش بالكسك القاطع والفقر  
المدقع، ثم تصيبه مصيبة فى عينه وهى نتيجة فقره، فلا  
يقدر على دفعها، فيحملها كرهاً، ثم يموت هذه الميتة البشعة  
تحت عجلات صاحب الثراء. نعم إن هذا النغى وأمثاله قد  
حطموا مثل ذلك الرجل حياً، فسلبوه كل نعمة، ولم يدعوه  
يحيا كل حياته التعمسة، بل حطموه حتى خرج منها متألماً.  
فهل للحياة من قيمة؟ وهل لتلك المظاهر الدنيوية  
من قدر؟ وإذا كان لها قدر فكيف توزع النعم والمصائب  
بين الناس؟ إن كل ما أرى يزيد فى نفسى عقيدتى الأولى  
رسوخاً، وذلك أننا ولدنا حتماً، ونحيا حتماً، ونموت حتماً.  
وما حياتنا إلا واجباً أمرنا به وعلينا أدائه، ولا قيمة لما فيها  
من مظاهر وحالات، فما هذه الحالات إلا أعراضاً تعترض  
الإنسان أثناء عبوره لها، فهى مثل الغبار الذى يلحق

بذيل المسافر في طريق يسلمكها .

١٥ أكتوبر . خرجت بالامس بعد تفكير مؤلم في ذلك .  
الرجل المسكين الذي قتله الغنى ، فلم أجِد من أذهب اليه .  
غير صديق خفي السكة الحديدية . فلما صرت معه اخذت  
احادثه على عادتي ، ولكنني نسيت نفسي فكلمته فيما كنت  
أفكر فيه بشأن الحياة وبمآلاتها وزوالها . وانها واجب لا  
علم لنا بالمقصود منه وعائنا أن نطيع امر الله فيه . وكان الرجل .  
يسمع لي وهو متعجب مما أقول ، وكأني به قد ساء ظنه .  
بي ، وحسب قولي دليل عقيدة مزعومة ، فأخذ يراجعني .  
في القول على غير عادته ، لأنه في العادة يسمع ما أقول قابلاً  
غير متشكك . فأخذ يقول لي « كأني بك تقول ان الحياة .  
لا قصد لها » فقلت له « وهل تقدر ان تقول لي القصد  
منها ؟ » فأجابني « اننا لأدري فأنا رجل جاهل ، ولكن  
الله خلقنا لقصد يعلمه ، ولو كانت الحياة باطلة فلم نحياها  
ولم جعل الله في قلوبنا حبها والرغبة فيها ؟ »

فقلت له « لقد قرأت الحق مع تواضعك ايها الصديق .  
إنك تقول إنك جاهل ، والحقيقة أنك أعلم قلباً بمن يدعون .

والعلم غرورا . أنا لا أعارض في أن الله قصد من خلقنا، ولكن  
 هذا القصد لا علم لنا به ، فلهذا أقول إننا خلقنا لنحيا ولا نعلم  
 لم ، فحياتنا حتم : أوهى واجب نقضية ، ثم نمضى عنها كذلك  
 حتما . وأما حبنا للحياة ورغبتنا فيها فيل غريزي طبع فينا  
 . ولولاه لشعرنا بأن الحياة حمل لا قصد منه ، ولكان كل  
 إنسان يتخلص منها فيفنى الخلق ، فعواطفنا المختلفة ماهي  
 إلا طباعا جعلها الخالق فينا تحمنا وتثيرنا . فنقطع مرحلة الحياة  
 على دفعها وإثارتها بغير ملل ، وتلهينا عن التفكير في الحياة  
 وقصدها وغايتها ، فتتقضي الأيام بين اندفاع الإنسان مع  
 حبه وكرهه ، وطعمه ورغباته ، حتى تتم الرحلة ولم يشعر  
 بوحشة المفازة ولا بطلان السير - تصوراها الصديق أنك  
 قد نزع منك كل شعور بحب وكل شعور بكره ، اكننت  
 تقدر على البقاء ؟ انك تحب كل ما فيه سرورك ، وتكره  
 كل ما فيه ألم ، ولو لم تكن عندك هذه الميول أكننت تجد  
 للحياة معنى ؟ »

ولكنني اتبعت عند ذلك الى الرجل ووجهه ، فوجدت  
 عليه علامات الشقاء بادية ، ووجدت في عينيه معنى الحيرة



والارتباك ، ففطنت إلى خطأى ، وعلمت أنى أريد أن  
أجذب الرجل إلى هوة شقائى وألمى ، فأشفقت عليه من  
وسواس هذا الفكر ، وأخذت أخرج به الى الحديث  
المعتاد ، حتى زالت عنه تلك النظرة الحائرة ، وأحمد الله إذ  
رجع الى سابق ظنه بى بعد ذلك ، فقد وجدته عاد إلى  
محادثتى بالحرارة التى عهدتها عنده ، وقد عزمت على ألا  
أعود الى مثل هذا الحديث معه ، وياليت أنى أستطيع  
الحياة مثله بغير تفكير .

٦ أكتوبر - اليوم يئست من مساعدة عمى ونسيبه  
لأننى كنت ارسلت الى صهره ( د ) بك أن يتوسط لى  
عنده لسداد ماعليه لى ، فجاءنى الرد منه اليوم ينفض يده  
من أمر لايعنيه . ولقد كنت أنتظر منه غير ذلك ، فكان  
الخيال يصور لى أن ذلك الرجل ستدفعه الارحمة والنخوة  
الى أن يرسل لى دينى ، لانه غنى صاحب ثروة عظيمة ، مفضلا  
ان ينتظر هو على أن أنتظر أنا . مع حاجتى وقلة ذات يدي  
ولكن احمد الله على أنه رفض التدخل فى الامر ، فان الله  
خلصنى بذلك من ذلة ، وهل قبول مساعدة الناس الا

ذلة؟ اللهم احفظ على إياي ولو ظل ذلك مقرونا بفقر قاتل.  
 وإنني كلما خلوت الى نفسي ورأيت خلوها من أسر المادة  
 التي تأسر الكثيرين، اخذني شيء من الإعجاب بها، وحبذا  
 الفقرا إذا كان صاحبه يشعر حقيقة باحتقار حطام هذه الحياة.  
 ولست ادرى ماهؤلاء الذين نسميهم الأغنياء، لأنني  
 كلما فكرت فيهم لم أجد إلا فقرا في نفوسهم، وإقلا لا في  
 مخلفهم. فأكبرهم جامد ضنين، ومنهم الذي يسرف ولكن  
 على نفسه وترفها، ولا تسخو نفسه باطعام مسكين، وعندى  
 أن الشح أكبر فقر للنفس. وإنني أعاف ان أكون غنيا من  
 امثال هؤلاء، فكما أمعنت في تعرفهم لم أجد إلا ظلم وسرقة  
 وتطفلا، فقصورهم الشائخة الى جانبها الاكواخ الحقيمة،  
 واذيالهم المجررة بجوارها عرى كامل، وما قامت القصور  
 الا على انقاض الاكواخ، وما تلك الذيول المجررة الا أسلاب  
 هذه الاجساد العارية، فأين للغنى بذلك الغنى كله لو كان  
 عادلا؟ فان الناس لا يختلف بعضهم عن بعض في القدرة  
 بمثل هذا القدر. وإنني لا أتمالك الإعجاب بالصل العربي الذي  
 انتقم من هذا المجتمع الظالم بأن ابني السؤال وفضل النهب

قائلا في وصف كرهه للسؤال

وَأَنْ اسْأَلِ الْمَرْءَ اللّٰئِيمَ بَعِيرَهُ وَبُعْرَانَ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرٍ  
الْأَعْدَلِكِ اللَّهُمَّ ، فَإِنَّ ظُلْمَ النَّاسِ كَأَنَّهُ يَجْعَلُ فِي النَّفْسِ  
حَسِداً . وَالَّذِي يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ مَعْذُورٌ إِذَا هُوَ حَسَدٌ مِنْ  
يَرْضَوْنَ بِالْتَّعْتُمَةِ .

٧ أكتوبر - اشعر هذه الايام بألم في جنبي وبقبضة  
في صدري ، وقد تزايد هذا الألم منذ الأمس عندما اتاني  
رفض ( د ) بك أن يتدخل بيني وبين عمي ، ولكنني قد  
اعتدت إن أنا تأملت أن أخرج الى الفضاء ، فهناك أجد في  
السكون والسعة ما يعيد لي قوتي . وسألتك ذلك الدواء  
اليوم رغم برد الهواء منذ ليلة الأمس . استأدري لم يسرع  
الشتاء كذلك ولم يخشى الصيف مسرعا ؟ فكأنني بالطبيعة  
ذاتها تعاكس الفقراء .

٩ أكتوبر - ان المرض يزداد بي ، فالألم القليل الذي  
كنت اشعر به في جنبي أصبح ألما مبرحا يمنعني النوم ،  
والضيق الذي كنت أحس به في صدري أصبح الآن يمنع  
النفس فيكاد يخنقني ، وإني على ما أنا عليه من احتقار الحياة

وكرهها جزعت من سرعة سير المرض بي ، ولعل أكبر مايجزغني هو التفكير في أمي وأختي . ولكن ما أحسن أن يثق الانسان بخلاق عظيم يخلفه على من يجب إذا قضى نحبه، فان ذلك يخفف عن الانسان أكبر الموم واقساها . وأحمد الله إذ أرى عقيدتي تزداد رسوخا يوما بعد يوم ، فان العقل المغلق هو الذي لا يرى يد الله في هذا الملك العظيم ولا يستطيع من يفتح عينيه إلا أن يبصر بهما قدرة التقدير وعظمته وجلاله .

١٠ أكتوبر . إن المرض جادّ بي ، ولا يزال كل يوم يغلب واضعف عن مقاومته ، ولكن لن المس الأرض يجنبي ما استطعت غير ساعات النوم ، فان المرض قد تجدى فيه المقاومة .

لم يبق معي من وظيفة الشهر إلا ثمن القمح اللازم لمؤونة البيت ، فلا أقدر على الذهاب الى طبيب أو شراء دواء ، لأن القوت أولى من كل ذلك . ولا أقدر أن أعرض نفسي على طبيب وأرجوه إعفائي من الأجر ، فان نفسي تأني هذا كل الالباء ، ولا سيما وقد علمت أن بعض الأطباء

لا يحملون نفوس الأطباء .

١١ أكتوبر - شكرا لك أيها الطبيب الكريم ، وشكرا لك أيها الصاحب المحسن . إن صاحباً ما كنت أظنه يهتم لأمرى ، سأل عني ، فقبل له إني مريض ، فجاء يعودني مع صديق له ( الدكتور محمود ) وقد تطوع الطبيب بفحصى ، ووصف لي دواء ، وأوصاني بأن أقيم في مدينة غير ( دسونس ) لأنها رطبة الهواء - نعم أيها الطبيب ، سأعمل بأشارتك ، فأذهب إلى حلوان ، وهناك أستأجر بيتاً ذا حديقة واسعة ، وأشتري له ثياب الرياش ونفخ الأثاث ، وإن يمضي على هناك شهر حتى أبل من مرضي - إني أضحك ضحكة يأس باردة . عندما أفكر في هذا ، لأن أمثالي من الناس إذا مرضوا كان حتماً عليهم أن يذهبوا ضحية المرض ، ومن يكون للموت إذا لم أكن له أنا وأمثالي ؟ - دغى أيها الطبيب حيث أنا ، وإذا شئت أن تداويني فاء - لم أن عاتى قسوة المجتمع وظلمه ، فداو هذه الأمراض إذا استطعت ، ولا أخالك . تستطيع ، وماذا يفعل الآسى مادام هناك مارد يقطع الأوصال ويحز القلوب .

إننى أقتل قتلاً بطيئاً ، والذي يقتلنى هو ذلك النظام  
الذى يحمى السارق والغاصب ، ويحارب الجشيع ، ويظل القتال  
تحت جناحه .

١٢ أكتوبر . لن أفكر بعد الآن فى أمر مرضى ،  
فإذا هدأت نائرتة حمدت الله على ذلك ، وإلا استسلمت لما  
شاء ، ولست أقدر على القعود فى منزلى ، فانى إن لم أقم  
بعملى مت أنا ومن معى جوعاً — نعم متناً جوعاً بلا ريب  
فليس فى الناس من يرضى أن يحى آخرى موت من الجوع  
إذا كان ذلك يكافئه كسرة مما بيده . لا بل أستغفر الله إن هناك  
من تسخو نفسه ، وهذا السخى هو الفقير الذى  
لا يقدر على شئ ، ولكنى أستغفر الله ثانياً ، فهل نسيت  
فهم ؟ فلا أدع إذن ذلك التفكير ، ولأرجع بنفسى إلى عاداتها  
من الخروج إلى الليل والفضاء الواسع ، ولأغرق آلام  
جسمى فى لذات روحى ، وأعلى أستطيع أن أعيد إليها  
هدوءها وأملها .

مساء اليوم — خرجت اليوم قبيل الغروب الى ظاهر  
المدينة عند صاحبي خفير السكة الحديدية ، فوجدت كل

شيء على عهده إلا شيئاً واحداً وهو أنا، فاني تعبت في السير  
 تعباً شديداً على غير عادتي، وقد رأيت الأصيل ساحراً  
 فكانت السماء مزينة بالسحب المتقطعة البيضاء، ثم كساها  
 الأصيل من الألوان ما يعجز عن وصفه اللسان، وكانت  
 زهور الخريف الصفراء ترفع رأسها بين الحشائش الخضراء،  
 والعصفور يصفر صفيرة المتقطع القصير كأنه طفل مرح.  
 فما زلت جالساً وقد استولى على سحر هذا المنظر، حتى أقبل  
 الليل وظهرت النجوم البعيدة تلمع في السماء، والريح تهب  
 بين العصور فتحدث صوت خفيف محزن. فذهب ذلك  
 المنظر بالخيال إلى بعيد، فنظرت إلى النجوم القديمة التي  
 شهدت الأرض ومن جاء فيها منذ قرون، ولا تزال هي على  
 عهدها السابق تلمع وتنظر جامدة لا تتحرك إلى الحوادث  
 التي تهز هذه الأرض وتثيرها. فأخذت أسائل النجوم أين  
 ذهب من ملكوا الأرض. وأين راحت عظامها، وكيف  
 اندثرت آثار حوادثها. وكأني عند ذلك كنت أسمع النجوم  
 تجيب ضاحكة «قد ذهب القوم وما كانوا كباراً» نعم لقد كان  
 عظماء هذه الأرض أطفالاً نمت فيهم بعض القوى، فتاروا حيناً

حتى نفذت قوتهم نخبث الثورة ومضوا — وما الفرق بين  
 طفل يصرخ حتى يملك لعبته، وبين ملك عظيم لا يزال حتى  
 يملك الأرض؟ فإن الليل واحد وإن اختلفت مظاهره .  
 ومن أعجب الأمور أنى عندما رجعت إلى ديوانى  
 المحبوب وجدت فيه قطعة تصور خيالى، فقرأتها وأنا أهتز  
 لها، ثم تنفست نفساً عميقاً، وكأننى فهمت منها سر الحياة  
 فهدأت، ويخيل لى أنى لو مت الآن مت مستريحاً مطمئناً  
 وهامى القطعة .

راقصى ياسحب أنوار السماء	واسجى الذبول
واخضى كفيك يا جند ذكاء	بدم الأصيل
ونسيم الريح من صوب الشمال	يلثم الأفنان
ناشرًا من عطرها السحر الحلال	عن ربي الريحان
هذه الأنفاس أنفاس الربيع	حلوة عذاب
نعم هذا الحسن فى الروض الينيع	مونق الشباب
وقطار الطل فى سلك الغصون	لؤلؤ منشور
وأديم الأرض ألوان فنون	ضاحك الزهور
أيها الصادح فى أيكته	ردد النواح



فبكاء الطير في دمعته      باسم الجراح

\*\*\*

غير أن الشرق القى ظمأ  
واختفى الحسن وشيكا مثما  
وأنى الليل على صولته  
وبدت تسطع في صفحته  
وطوى الجمال      يختفى الخيال  
يملا الفضاء      درر السماء

\*\*\*

إيه يا زهر تعاليت على  
مشرقات من محلات العلا  
حدثينا أيها الزهر بما  
فلكم شاهدت فيها حكما  
هذه الأرض لمن كانت وما  
خطا أبصر تعلو خطا  
أين رمسيس على دولته  
فلقد شاهدت من طلعت  
أين دارا صاحب الملك المجيد  
أين إسكندر ذو الفتوح البعيد  
ذلك الوجود      أبد الخلود  
مر من دهور      تعطر الغرور  
هذه الآثار      تملأ الأقطار  
ومعاقب — له  
وجحاف — له  
ملك الورى      أسد الشرى

أين هرون وما جنّاته في ربي بغداد  
وابن چنكيز الذي ذلت له عزة الأجماد

النجوم

أنا هذا أبدأ الدهر أرى سيرة الأجيال  
زمرّاً أبصرت تتلو زمرا تسرع الترحال  
مالذي تسألني عنه وما هذه الأسماء  
جاء أقوام وقاتوا أمما ضمها الفناء  
ليس فيمن مرّ الأذاهب طائع الأمر  
وسواء مبطل أو دائب آخر السير  
أى شيء ضل فيه السائلون مدة الآباد  
نفس منبعث ثم سكون هادي الرقاد .

١٥ أكتوبر . كان المرض قد سكن عني في اليومين

للماضيين ، ولكنه عاد إلى اليوم ويكاد صدري يتمزق من  
ألمه ، وأرى المرض جادا على حين أنا أهزأ به . رويدك  
أيها المرض ورفقائي ، ولست أطلب رفقتك حبا في الحياة  
ولكن لأن لي أما وأختا .

أخذت أفكر في طريق أستطيع بواسطته أن أنجى

حياتي من ذلك المرض الذي يخيل إلى أنه خطر برغم  
استخفائي به ، فكلمتا طرقت سبيلا وجدتها مغلقة ، ولا يلوح  
لى أمل إلا من جهة واحدة ، وهى جهة صديقى فهم ، الذى  
ما وقعت فى حيرة إلا كان هو منقذى منها . فلأرسل إليه  
هذه المرة أيضاً ، لعله يجد لى عملاً بالقاهرة ولست أخشى  
منه أن ينقص قدرى عنده فان نفسه ليست كنفوس  
الناس . وإننى كلما فكرت فيه مرت على صدرى نسمة  
طيبة ، وارتسمت على وجهى ابتسامة ارتياح فى أى حال  
كنت ، ولو فى أشد ساعات الهم وأحلكها . ومما يزيد  
رغبتى فى البعد عن « دسوانس » ما رأيته على وجه  
(ع) بك من التغير ، فكأنه تأذى من كثرة امراضى وقلة  
عملى هذه الأيام ، فأصبح متجهماً عابساً نحوى . وانه  
معدور ، ولا أخشى إلا أمراً واحداً منه ، وهو أن تبدر  
منه إهانة لى .

إننى أريد ان اسرع بترك المدينة قبل أن يصل الأمر  
إلى هذا الحد ، فان الحياة لاتساوى أن يهان الإنسان فيها .  
وإنه يخيل لى أن الموت أهون على من تحمل الأذى فى

إكرامتي ، فان نفسي متكبرة برغم كل ما أنافيه . ويلاه !  
 إن هذا مما يزيد في شقائها ، فان أحسن عاطفة ينبغي أن  
 تكون في قلب الفقير هي عاطفة التواضع واللين ، أو بقول  
 آخر الضعة وتحمل كل شيء . فأذا لم يكن الفقير هكذا ،  
 قضى أيامه على الألم المبرح زيادة على الفقر القتال .

١٦ أكتوبر . ذكراك يا أبا لاتزال تعاودني ، ورحمة  
 الله عليك في مثواك البعيد ولو كنت أعتقد في الأحلام  
 لقلت إنني لاحق بك بعد قليل ، لأنني أراك كل ليلة في منامي  
 وأقبل يدك وتبسم لي ، ووجهك ممتلئ . وعيناك تضيئان  
 نوراً . ويا ليتني أقدر أن أحجج إلى جدتك ، فأبalle بيمض  
 تلك الدموع التي أذرفها كل يوم . رحمك الله يا أبا ، فكان  
 بروحك معي تشجمني وتصبرني ، لأنني إذا ذكرتك هانت  
 عندي كل آلام الحياة وشقائها .

١٩ أكتوبر . امامي الآن داعيان ، أحدهما من كفر  
 الشيخ ، وذلك ان أحداً صديقاً أبا أرسل إلي يعرض الاشتراك  
 معي في اجارة وقد اندفع إلي ذلك بحج مساعدتي إكراماً  
 لذكرى أبي رحمه الله . وإن سعيه لمشكور ، ولكني لا أظن

انى اقدر على تلبية ما يعرض . واما الداعى الثانى فمن صديقى  
فهم اذ ارسل الى خطابا يقول لى فيه :

يا عزيزى محمد

« ألا تزال على عادتك قرويا ؟ إني لن اسميك إلا قرويا  
لما اعرفه فيك من حب الفضاء والبعد عن المدن . وقد  
تركته كل هذه المدة لم اعرض عليك شيئا يخالف رغبتك  
فى الوجود بدسونس ، لما كنت اعرفه فيك من حب العزلة  
والبعد عن ضجة المدن الكبرى . ولكنى رأيتك حنت  
الى القاهرة ، لأنها مدينة شبابك ، وقد سرنى ذلك .  
واخبرك ان عندى بالقاهرة عملا ترضاه ، فاحضر الى فى  
أقصر وقت ، لأننى مشتاق اليك . وعسى أن تكون شبع  
من مناظر الطبيعة القوية الجميلة . وعلى ذلك ارجوك أن  
ترك لى الحرية فى تسييرك حسب ما أرى ، ولا تضطرنى  
بأهاتك الكثيرة ، وملاحظاتك العدة ، إلى السير حسب  
هواك . افهمت ؟ واني انذرك من الآن ، انك إذا كنت  
تريد قصر سيرك ورياضتك على شبرا والجيزة ، والصجراء  
الواسعة والفضاء اللانهائى ، وحقول البرسيم وزهر العاقول ،

فانى اكون مضطرا عند ذلك إلى أن اضع على عيني غطاء ،  
وفى ادنى سداً ، وأجعلك تقودنى فى كل رحلاتك كما يقاد  
الأعمى الأصم ، وهذا يكون عقاباً لن تستطيع احتماله ،  
فتنزل على حكمى برغمك ، وتعيش مع الناس أبناء آدم .

إلى اللقاء يا عزيزى ودمت لأخيك . »

شكراً لك يا عزيزى « فهم » إني احبك وأحب كل  
ما نقول . رسأذهب اليك ولعلى أستطيع أن أبقى بجانبك .  
لأننى أشعر بالحاجة إلى ركن آوى إليه .

٢٣ أكتوبر - سمح لى (ع) بك بإجازة طويلة لمرضى .

وأغرب شئ أنه سمح لى بها بغير تردد ولا غضب برغم  
ما كان يلوح لى منه من العبوس تلك الأيام الماضية ، ولا  
أدرى علة لذلك ، إلا أن يكون ابو فهم أرسل له فى هذا  
بناء على إيعاز فهم ، فانى أميل دائماً إلى أن أعزو كل حسنة  
فى العالم إلى ذلك الصديق ، وأغلب ظنى أن حدسى صادق .  
وانى عظيم الألم لأننى مضطر إلى أخذ بعض وظيفتى  
لأصرفه فى سفرى المقبل ، ولكن لعل فيه رجاء يعوض  
تلك الخسارة . وأشعر بشئ كثير من الاضطراب كلما

فكرت في أنى سأترك أمى وأختى هنا ، ولو ان ذلك مؤقت .  
إلى حين ، لأننى لا أحب يوماً يطلع على غير حديشهما  
والنظر اليهما . وفى نفسى شعور آخر ولا أستطيع أن  
أعمله . وماذا أقول ؛ ان القلق والاضطراب يصوران فى  
خيالى صوراً مخيفة فأشعر بأن سفرى للقاهرة هذه المرة  
سفر منحوس لن أعود منه .

٢٥ أكتوبر - لقد عرض على فهم العمل الذى وجدته  
لى بالقاهرة ، وهو محرر فى صحيفة ، وقال إنه سيجد لى فرصاً  
أخرى بعد قليل ، والحق أنى لا أميل إلى ذلك العمل فى  
قرارة نفسى ، فعمل الصحفي مبنى على الاتصال بذلك المجتمع  
وأنا التمس البعد عنه والهروب منه وأجد فى نفسى كرهاً  
عميقاً للمجتمع سلبنى والذى - نعم سلبنى والذى ، لأنه هو  
الذى قتله ، وسيسلبنى نفسى - ويلاه من ذكرى أمى وأختى !  
إن هذا المجتمع الذى يُقتل فيه البرى ، فقراً وظلماً ،  
ويحتذى تحت ظل قانونه الاصل والظالم والجشع والقاتل ،  
لمجتمع يجب الهروب منه بكل وسيلة . فإذا أنا كنت محرراً  
فى صحيفة ، فلن أكتب الا فى هدمه والكشف عن دناياه .

ومساوئله، وسأكون بذلك خارجاً عليه متعرضاً لكرهه  
وأنا أود المرور من ذلك العالم سالماً ساكناً. فلا تترك ذلك  
ولأمتع النفس بجمال القاهرة - لابل لأشبع قلبي من ذلك  
العالم، لأنني أشعر أنني تاركة بعد قليل، وإنه يلوح لي الآن  
جميلاً وكأن نفسي ضنينة به - عجباً! وكيف أحب الحياة في  
عالم لم أرفيه إلا كل ما يدعو للمقت والكره؟ إنني أكره  
العالم والحياة بعقلي ولكن حب الحياة طبع في غريزة الإنسان  
فهو أس البقاء. ما أجل سماء القاهرة في هذا الوقت، فهي  
صافية لا يعكرها شيء كأننا في ربيع. ويجتهد صديقي (فهميم)  
أن يدخل قلبي السرور بكل وسيلة فهو يدور بي على نواحي  
القاهرة، ويذكرني بذكريات الماضي، ولكنني أشرد منه  
دائماً إلى التفكير في مساويء المدينة - في شقاء وترف كائنين  
تحت سماء واحدة، وغرور قوم وحطام ضحاياهم جنباً إلى  
جنب، وفي حال الناس وأن جماعة منهم يقعدون عن السعي  
ويترددون بين أماكن القصص واللاهو، من ناد إلى مسرح إلى  
ماخورة إلى غير ذلك مما يقتلون فيه وقتهم الطويل، وأن آخرين  
لا يجدون القوت رغم كد يذهب بنفوسهم. ولهذا أجدني



لا تتم لى لذة بجمال القاهرة ، ما دامت صورة ذلك الجور ماثلة  
 فى ذهنى . وهناك أمر آخر يزهدنى فى حياة تلك المدينة .  
 المتسعة وهو ضجيجها الدائم وكأنى بضوضائها قد زادت علوا  
 عما كانت عليه فى الماضى ، ولعل سبب ذلك بعدى عنها هذه  
 المدة . فلست أجد من نفسى ميلا إلى الرجوع إلى الحياة .  
 فى هذه الجلبة رغم ما بالقاهرة من جمال ، وأفضل ان أبقى  
 فى ( دسونس ) بعيدا فى وسط الحقول والغدران .

٢٦ أكتوبر . يصير ( فهم ) على تسمينى ( القروى ) حتى  
 فى أثناء السير العادى ، وليتنى كنت كذلك فأقضى الحياة  
 فى بضعة أفدنة أفلحها وأعيش قانعا . ولكن أنى لى ذلك وقد  
 أحاط قوم بالغنيمة ولا حظّ بينهم لئلى .

ذهبت اليوم الى القصر العينى ليرانى أطباؤه بالمجان ،  
 وقد وصفوا لى دواء ، وأشاروا على بالهواء النقى والأكل  
 المفيد ، نعم وسمعا وطاعة فانى سأعد كل يوم مائدة جميلة للغداء ،  
 وأخرى للعشاء ، وأعيش فى منزل جميل فى مصر الجديدة او  
 حلوان - ولكن سيكون كل هذا فى الخيال فالحقيقة مرة . فهل  
 هذا يشفينى أيها الأطباء ؟ إننى أضحك برغى . أيها الأطباء .

إذا شئتم شفاء مثلي فاصرخوا في المجتمع وداووه أولا ،  
فإن داءنا منه ولاكنكم لاتفكرون .

٢٩ أكتوبر . قد تكون الحياة بالقاهرة طيبة اذا كنت  
اقضى كل وقتي كما اعتدت من قبل ، بين الحقول والرياض ،  
وتحت السماء والنجوم ، وقد تأكدت اليوم من أنى ان استطيع  
الحياة فيها بين اهلها وفي ميدانهم - فصحتى يضر بها الضجيج  
اكثر مما يضر بهارطوبة (دسونس) ، وارى هنا حياة لا اقدر  
على التشكل بشكلها واذا صبح راي اصحاب مذهب النشوء  
والارتقاء فأنا غير صالح للبقاء في نضالها ، لأن ذلك يحتاج  
إلى قوة وشره وانا على جانب عظيم من ضعف الطيبة والزهد  
ولا مدح في ذلك ، لأننى اعتقد ان الطيب لا يصلح للبقاء  
في هذه البيئة الحاضرة .

حقا ان كل ظاهر الناس هنا مضحك في سخافته وتفاهته  
ولاكنهم رغم ذلك لا يدركون انهم سخفاء ، بل يظنون  
انهم بلغوا اعلى درجات الرقى وذرى المدنية . فقد ذهبت  
منهم طباع الفطرة ، وأصبحوا متكلفين في كل شئ حتى في  
اظهار الشوق والحب ، وحتى في الأكل والجلوس ، فجعلوا

لكل شيء قواعد وحدود لا تطبقها النفس . وقد أكون  
أحياناً في حالة من الألم شديدة ، والهـم مخيم على نفسي ،  
فأذا ما أبصرت جماعة من مثل من اصف ، ورأيت كيف  
يتخاطبون ، وكيف تبدو ميولهم وتظهر عواطفهم ، اخذني  
الميل الى الضحك حتى ضحكـت برغمي ، اذ يخيل لي اني  
ارى دُمى تحرك اعضاءها حركات غير طبيعية ، لاختلافها  
من الأحياء .

ولا اظلم نفسي ، فاني اكبرها كلما رايت استرقاق للمادة  
والحياة للناس ، واستيلاءها على قلوبهم ، مع حرية نفسى من  
ذلك الأسر ، واحتقارها لما يتهافت الناس عليه .

٣٠ أكتوبر . اليوم حضرت مع فـهيم مجلساً من مجالس  
الأدباء ، وكان في الجالوس جماعة ممن يقولون الشعر ، ولكن  
نفسى لم ترح الى أحد منهم . وكان كل منهم يحاول بقدر  
استطاعته ان يظهر براعته في القول ، ويكشف لنا عن  
محاسن نظمه ، وكيف يولد المعنى الطريف ، وينظم اللفظ  
الأنيق ، وكان في الجالوس فتى أصفر الوجه ، اذا نظرت  
الى عينه فكأنك تنظر الى شـعـلتين ، بهو ساكت وبه شيء

من العبوس ، وكان كلما قال أحد قولا تبسم ومدح ما يقول ، فوجدت من نفسي ميلا يرغمني على السؤال عنه ، فأخبرني ف فهم انه فقي ساكن حزين ، خرج من المدرسة بعد اتمام الدراسة وقد تهدمت بنيته ، حتى لا يستطيع العمل الكثير ، ولذلك بقي يعيش على كسبه القليل الذي يصيبه راضيا ، ويعيش اكثر اوقاته في الفضاء مع الطير والشجر . و اضاف الى ذلك انه شاعر ، ولكنه لا يقول كلمة من شعره امام الناس الا اصدقاء قلائل . وقد طالبت من فهم ان يسمعي بعض قوله وما كان اعظم سروري بما سمعت منه - فانه بعد انصراف الجمع ذهب مع فهم ومعى الى الجزيرة ، وقضينا هناك مساء من اجل اوقات حياتي . وقد اسمعنا شيئا من قوله ، لو استطعت لجئت به جميعه ، واكتفى هنا بأن اثبت شيئا على سبيل الاستذكار ، فلا أحب ان انسى ذلك الفقي الساكن الاصفر الوديع القانع ، لأنني احببته برغمي لشيء فيه لا اعرف ماهو ، ولا بد ان ابقى عندي ما يستبقى صورته . وهاهي قطعة من قطعه :

«كل يرى الحق على زعمه»

هي الشمول غير ممزوجة  
تدب بالساقى وبالشارب  
في روضة شعناء وحشية  
لم تنتقص منها يد الشاذب  
الزهر منشور بانحائها  
والماء من جنب الى جنب  
دقائق اللذات مخلوسة  
فلا سماع اليوم للعنانيد

\* \*

لكن أشجانا يخالجنى  
وهل تله الكاس للأغب  
ياصاح لا تملأ إلى أن أرى  
مطيبا لهماى الناصب  
يازهر إن أسوت لى مهجى  
لازات محمولا على حاجي

أأرى خصالاً فيك يعجبني  
على صفاح وجهك الشاحب

هبوب الزهر

تشكو إلى ذي قرحة إنني  
أحق بالشكوى لما حاق بي

ما كنت للناس سميراً وما  
خلقت للعابث والسلاعب

خلفني دهرى وما حيلتى  
ثم رمى حيلى على غاربي

يا ليتني — وهل تفيد المنى  
حسبي إذن بدمعى الساكب

\* \*

قد جئت أستشفى إلى مدنف  
حسبته ذا مرح داعب

لأخفى هموماً في غلالاته  
وغرني بظاهر كاذب

لكن هذا جدول سلسل  
 قد أشتفى بمائه الشانب  
 ياماء إن برئت من على  
 على يدك لم تزل صاحبي

هبوب الماء

جريت بالوادي فأحييته  
 من أشجرفيه الى عاشب  
 أحضو على العود كأنم له  
 رشفه من درة حالب  
 حتى إذا ماصار ذا جرة  
 تشب للمقرور والساغب  
 لم يرع حق وكواني بها  
 واحربا من أمل خائب

\* \*

حسبت هذا الماء يشفى الجوى  
 وكيف 'يستشفى الى ناحب

يا صاح فاطو الراح مختومة

لاخير لى فى ريقها الخلاب

لكل حى فى الورى علة

لم يخل حى فيه من نادب

كل يرى الحق على زعمه

فالحق منشود بلا طالب

أول نوفمبر . عزمت على ألا أقیم فى القاهرة، وقد قلت

رأى لصديقى فهم فرأيتته تكدر عند ذلك ، ولكنه نظر

إلى وقال « إنك لاتزال قرويا . ألا تريد أن تصالح يا أيها

السادج ؟ » فقلت له « اعلم يا فهم أن بلدكم لاتسكن فاتركنى

أرحل عنه ، وأظنك لا تلومنى على ذلك الشعور فى قرارة

نفسك » . فنظر إلى وسكت لحظة ثم قال « ولكن يا أخى

ألم يقل لك الأطباء إن جو القاهرة لا يلائمك غيره ؟ » ولم

يرد أن يطيل فى ذلك ولعله ظن أن ذلك القول يؤذنى .

ما أطيّب قلبك يا فهم ! إن القاهرة أو أى بلد آخر فى

الوجود لا يفيد مثلى شيئاً ، فلا أرجع إلى مقرى الهادى .

٦ نوفمبر . تذكرت اليوم آلامى الماضية فى محل عملى



بمدينة دسونس ولكنى مع ذلك أرى أنى سأكون معرضاً  
لمثل تلك الآلام فى أى عمل آخر، وعلى ذلك فقد عزمت  
أخيراً على الرجوع إلى عملى الأول.

١٠ نوفمبر. إن مثلى لا تفيدته الإقامة فى أى بلد،  
وكيف يستطيع أن يأتى بالدواء وأن يقوم بشروط التداوى  
من مأكل جيد، وسكنى موافقة، مع ما هو فيه من العيشة  
الضئيلة. وإنى أشعر أن مقامى فى هذا العالم قليل، ورحم  
الله أبى لقد كان يقول لى ذلك فما كنت أصدق—كان يقول  
إنه يشعر بدنو الأجل وهأنذا الآن أشعر بمثل ما كان  
يشعر به.

١٢ نوفمبر. أفكر فيما إذا مت ماذا يكون حال من  
بعدى، فتسود عند ذلك الدنيا فى عيني لأننى لا أرى  
أحدًا يقوم عليهم سواى — إلا الله.

ما أجمل الوثوق بالله، والاتكال على عطفه؛ إن المؤمن  
الحقيقى لا يجد فى الحياة هما يملأ نفسه، ولا يجد فى الموت  
خشية، فآلى اللهم فى قلبى إيماناً قويا.

١٥ نوفمبر. كيف يقول قوم من الناس إن لا إله؟

اعميت عيونهم؟ ومن يكون إذن خالق تلك العوالم  
المتسعة وهذا الفضاء الفسيح وذلك الملكوت العظيم؟ من  
لهذا الضوء وهذا النسيم، ومن بارىء تلك النفس وموجد  
تلك النباتات وهذه الحيوانات؟ ما أكثر غرور الانسان  
ووقاحته إذ يقول ان لا إله. إن من يقول ذلك لا بد قد  
افسده الغرور واعماه الجهل.

رب اخلفنى فيمن احب، فقد دنا الأجل على ما أرى.  
رب إنى واثق بك فاخلفنى فيمن أحب.

١٨ نوفمبر. طالت إجازتى عما كنت أقدر، فلا بد أن أعود  
بعد قليل إلى عملى، ولا أظن زمنه طويلاً لأننى أرى الآمال  
تخبو فى نفسى، فلا أفكر الآن كثيراً كما كنت أفعل،  
ولكنى برغمنى أفكر فيما يكون حالك يا أختى لو ذهبت.  
عنك، وماذا يكون حالك يا أمى.

إن املاً كنت أسعى إليه منذ سعت لم يتحقق، وما  
كنت أسعى إلا لسعادة اهلى، فأبت الأقدار إلا ما كان.  
ماذا يكون مستقبلك يا أختى - يا أيتها الزهرة الجميلة؟  
إن جمالك يتفتح الآن أمام عيني، وأكبر من جمال خلقك

جمال خُلقك ، لم جعلك الله ابنة هذه الاسرة التعسة التي  
 ليس لها سواي ؟ وكيف تكون أيامك المستقبلية إذا أنا  
 غبت ؟ وما يكون اشوق تربتي إليك واقلقى روحي إلى  
 معرفة اخبارك ! إنني لا يحزنني ذكر الموت إلا لأنه سيبعدني  
 عنك وعن امي يا أختاه — أواه ! ان جسمي لا يحتمل ألمي .  
٢٠ نوفمبر . أرى أن أكتب وصية على أن ليس لي

ما أوصى به ، ولكنني أريد أن أوصي على من خلفت ، فإذا  
 كان للعالم قلب شعر . وليس أُمامي من اكتب له الوصية إلا  
 صديقي ( فهميم ) ، وسأكتبها وأعطيها له مع توصيته ألا  
 يفتح المكتوب حتى أقضى — نعم حتى أقضى وليس أمد  
 ذلك بعيد ، لأنني أشعر بدنو الأجل .

٢١ نوفمبر . يمنعني صديقي من السفر ، ولم هذا ؟ إنني  
 أشعر باضعحال في قوتي وضعف في كل أعضائي ، حتى  
 في جفوني وأسناني ، واخشى ان اموت هنا بعيداً عن اهلي  
 فينالهم من ذلك اذى في الانتقال الى في حال الذعر . ما اشد  
 الفراق على نفسي ، ولا سيما فراق امي واختي ! وإنني أشعر  
 الآن بشوق محرق إليهما .

اشعر الساعة كأن اعضاءي تتفكك ، وبألم في مفاصلي  
شديد ، وقد ضعفت ضعفاً اخشى انه إذا زاد لم استطع  
السفر ، ففيم المقام ؟ لا اطيق الاطالة في الكتابة لان عيني  
تتألمان ، وظهري لا يستقيم .

٢٦ نوفمبر . هذا ما كنت اخشى . أموت بعيداً عن  
أهلي كما مات أبي ولم اره ؟ لا بد من السفر مع ما انا فيه من  
الضعف الشديد ، وقد وعدني صديقي ان يأتي معي ليعتني  
بني ، فشكر ا له . شكراً لك يا صديقي فميم .

في مدينة دسونس

بأمر اخي أخذ القلم لا كتب مايلي عليّ —  
٣٠ نوفمبر . لا أستطيع أن أكتب ، ولكني أريد  
أن أكمل قصتي ، حتى أمضي ، لتكون آخر صحيفة من حياتي  
كاملة . ولذلك أنا أُملي على أختي لتكتب لي : جاء معي  
صديقي فميم ، وهو الآن في المدينة ليشتري لي دواء وإنه  
يضرني إلى شربه ظننا منه أن في الأجل بقية ، ولكني  
أدري منه بما هناك . إنه لا يرضي ان يأخذ مني ثمن الدواء  
و انا قابل منه تلك المنة ، كما قبلت غيرها منه بغير كره ،

لأننى أعلم ان الدافع له على ذلك جب لارىاء فيه . وقد اعطيته الكتاب الآنف الذكر ، واخبرته الا يفتحه قبل موتى . مالك لا تكنين ؟ اكتبى اكتبى كل كلمة اقولها ، فهل يبقى على الارض احد : مالك تبكين ؟ قولى إنا لله وإنا اليه راجعون . اكتبى كل ما اقول ( وعند ذلك اشار اخى المحبوب الى مؤكدا ان اكتب كل ما يقول حتى قوله « اكتبى كل ما اقول »

٢ ديسمبر . لم نشتر بعد مؤونة الشهر من الحبوب حتى اليوم ، وقد فعلت أمى ذلك زعما منها أنى قد أضطر إلى شراء دواء او غيره ، ولكن القوت لا يستغنى عنه ، ولا بد من شرائه ، ولا يزال صديقى فهم يبعث فى الأمل ولكنى اراه قليلا ، ولا رغبة لى فى الحياة . لا والله إنى احب ان احيا على كره ، وذلك لكى ارى كيف حال اخى وامى . إن المرض قد نزل بى اولا فاستهننت به ، وقد زاد حتى اصبحت لا اقوى على احتمال ألمه ، وكانت زيادته فجأة ، إلا انى واثق بالله وهذا يخفف عنى كثيرا من الآلام .

\* \*

أخذ القلم للكتابة - انا فهم ، واكتب كل ما عليه

على صديقي محمد، لأنه يرغب هذا وأنا لا أود مخالفته .  
 إنه كثير الوهم بلا موجب ، وأنا متأكد من انه سيبرأ من  
 مرضه ، ويقوى بعد ضعفه بأذن الله بعد قليل . أراه يسعى  
 لاثارة الدموع في عيون من يزعم أنه يحبهم ويعمل على إيلاهم  
 أفئدة الذين يقول إنه يجب أن يحيا على كره من اجلهم ،  
 ولكننا نعتفر له هذه المغالطة ، ونسأل الله التمعيل بشفائه .  
٦ ديسمبر . لم ترض أختي أن تستدر في الكتابة لى  
 وقالت إن ذلك يقتلها ، فهي لا تستطيع ان تكتب كلمة  
 « موتى » بيدها . وها صديقى يكتب لى بدلها . أشعر  
 ببعض اطمئنان كلما أرى حولى من يهتم لأمرى ، ولعل  
 ذلك المهتم قد ارسله الله ليساعدنى فى تلك الشدة . وماخاب  
 من وثق بالله .

٨ ديسمبر . ها قد اصبحت عاجزاً عن الأملاء ، إذ  
 أشعر كأن انفاسى تخونى ، وان صدرى لا يستطيع دفع اللفظ  
 إلى اللسان . تغيب نفسى يوماً عن يوم ، ويلوح لى أن قد تمت  
 الصحيفة ، تمت قصتى ، فوداعاً أيتها الكراسة ، لأنى لن  
 أعود اليك . تمت حياتى التى كنت أتساءل كيف تتم .

وأكثر من التفكير في شأنها . ألا من مبلغ هذه الصرخة إلى المجتمع ، يرى صورة ضحية من ضحاياه ، ولعلها تزعجه . ولست في مقام الحائق الغاصب ، لأنني على ابواب الآخرة أستهين بكل تلك المادة الدنيوية ، فليكن الغضب والحنق للأحياء ، فأنا على وشك تركهم إلى عالم العدل ، عالم المساواة . إلى العالم الطيب والمقام الكريم .

تكملة القصة بقلبي أنا فهم صديق المرحوم محمد

مساء ١٤ ديسمبر . بدأت اكتب منذ يومين لصديقي

محمد ، ولكنني في هذا اليوم لم استطع أن أبدأ ، بل كان قوله منقطعاً ، ولما انتهى أو ما إلى أن أطوى الكراسة ولوى وجهه نحو الحائط ، وكأنني به كان يبكي عند ذلك . فلم استطع البقاء هناك إلى جانبه ، وتركت الحجرة وقبلي يتمزق ، وخرجت إلى الحجرة المجاورة ، وهاناها فيها اكتب هذه الكلمات والدموع تمسح ما اكتب .

١٥ ديسمبر . اظهر محمد اليوم صباحاً بعض القوة ، ثم

لم يلبث أن رجع إلى حاله من الضعف ، وهو لا يكاد يتكلم كلمة واحدة . ولكن عينيه تنطقان أحياناً بالنظرات ، وأحياناً

بالدموع مسكين يا عزيزي محمد ، فان قاي ينفطر كلما اراك  
تبكي ، وانت على هذه الحال ، لأنني اعلم سبب بكائك ، فما  
هو حزنا لتوقع الموت بل هو لخوفك على من تحب .

١٦ ديسمبر . ماذا عسى ان يكون في ذلك الكتاب

الذي اعطاه محمد لي ؟ واني اخشى ان امسه تشاؤما ، وانا  
كثير التشاؤم — لا اريد ان امسه خشية ان يكون فالا  
غير حسن الصديقي ، لأنه اوصى ألا أمسه إلا . . لا اريد  
ان اذكر كلمة واحدة تؤذي بشر له ، واسأل الله له الشفاء  
وهو القدير .

مساء اليوم . هدأت دموع محمد ، وهو الآن ساكن .

وأرى على وجهه انطلاقا كأنه استبشار بشفاء قريب ، فهل  
تتحقق الأمانى ؟ إن امه واخته لا تزالان على البكاء كل  
حين ، وانهما لجديرتان بذلك ، إذ ليس في الناس من عاش  
لغيره كما عاش محمد لهما . ولا يرضى صديقي ان نبقي إلى جانبه  
في الليل كمادتنا ، وهو يلاح في ذلك إلحاحا نخشى ان نعارضه  
فيه . وقد طلب منا ان نعدل له الفراش إلى جهة القبلة ،  
وقد اجبناه إلى ذلك بقلوب تتمزق ، لأننا لانستطيع أن



نخافه ويلاه لوحدث مايتنبأ به ! إني اسمع الآن نحيب أمه .  
أعانها الله على الصبر ، فهي مسكينة . ولا أستطيع أن اسمعها .  
تبكى بغير أن أجيب ، وهأنا ابكى برغمي .

نصف الليل . بعد أن قننا من عند محمد ، ذهب كل  
إلى مخدعه ، ولكني لم البث أن سمعت صوت أمه وهي  
تبكى . فانها لم تقدر أن تذهب للنوم ، فأخذت تختلس  
النظرات بين حين وآخر إلى غرفته ، وقد رأت منه  
حركة مضطربة هذه الساعة ، فذهبت الى جانبه تسأله عما  
يجد ، ثم خرجت من عنده ولمه طلب منها ذلك ،  
وهي الآن تبكى حتى يخيل لي ان نياط قابها تنقطع .  
مسكينة هي ساعدها الله ! لا أستطيع الذهاب اليه  
الآن لوجود أخته معه ، لأنها استيقظت على بكاء أمها  
وذهبت الى هناك . ولكن امه تناديني ولا بد ان اذهب ..

\*\*\*

١٧ ديسمبر . رحمك الله يا أخى محمد ، فقد تم كل شيء ،  
وطويت الصحيفة ، وإن الله وإن الله راجعون .  
مات صديقى اليوم وكانت ميتة هادئة - مضى وفى

عينه دمة فرحمه الله ، فان قلبه كان يفيض حباً ، وما كان يفكر في نفسه يوماً . انى ابكيه وابكى نفسى فيه ، لأنى ارى حياتى قد ذهب منها بفقده لون من أزهى الألوان ، فقد كان مؤنسى ومهذبى . انى كنت ارى فيه من ايام التلمذة الأولى خلقاً عالياً ، ورجولة نادرة رغم صغر سنه ، فاذا ذكرته ذكرت طيبة القلب ، والكرم والشجاعة ، وكل حسنة من الحسنات وقد قضى صريع نفس كبيرة ، وضحية نظام فاسد اثقله بالأحمال ، فاجتهد ان يضطلع بها ، ولكنه وجد حوله ديانة وحب نفس وبخلا وطمعاً فناء بالجل ، وهكذا قسمت الجحوظ في ذلك العالم الحقيق .

انه ما بكى على الحياة ، وما كانت لتسوى عنده شيئاً . ولكنه كان يكبر الفضائل والرجولة ، ويستهن بكل شىء في سبيل المحافظة عليها . كيف اقضى الحياة بعده وحيداً من صديق كان يشغل أكبر جزء من قلبى ؟ وهل اقدر ان اعيش وليس في الحياة ذلك الركن الذى كنت الجأ اليه إذا ضاقت في عيني السبل ؟ لقد كان يزعم أنه مدين لى ولكن غفر الله له تلك الغلطة فانه لا يعلم مقدار فضله على لأنه لا يرى حسنات نفسه .

وهكذا كان شأنه ، ينسى فضله ويذكر كل صغيرة تعمل له .  
 إني كلما اتذكر الطبع البشري ، واني لا بد سأنساه  
 بعد حين ، اثور على نفسي ، لأنني لا أستطيع أن أتصور  
 كيف تكون حيايتي إذا خلوت من ذكراه ، ومن ذكرى  
 نفسه الطيبة ، وخلقته الخلو . هكذا تمضي الآجال ، وهكذا  
 يتخلف بعض الناس عن بعض ، وهكذا يذهب عن العالم  
 أنسه وعن الأرض رونقها .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

١٨ ديسمبر - لها العذر فيما تفعل ، وكيف تصبر الأم  
 حلي فقد ابنها ، ولا سيما إذا كان الابن هو المرحوم محمد .  
 فتحت اليوم كتابه ، رحمه الله ، وهل تعدى ما كان  
 بنفسى ، وهل كنت لأترك اهله ؟ إنه واثق بي كل الوثوق  
 وكأنني أرى روحه إلى جانبي تبعث في حيا . نعم هادئا يا عزيزي  
 فقد اراد الله ما كان ، وسيسر روحك ان ترى سعي في  
 إسماع من تحب ، ولو انها تكون سعادة ناقصة بفقدك .  
 إني أستطيع الآن ان اعمل كل ما كان يجول بنفسى لأن

محمدًا كان يتألم كما يرانى أقدم له شيئًا من المساعدة ، فإن نفسه كانت تأنف المساعدة حتى من صديقه . رحمه الله !

٢٣ ديسمبر - لا أستطيع مع والدتي صديقي إلا التاميح بما أريد ، لأننى أرى الحزن يكاد يذهب بها ، وقد فهمت قصدى على ما أظن وهى عاقلة من خير السيدات - ووافقتنى وأنعم برأيها السيد ، على أن الزواج ليس من دلائل المرح فقد قالت لى عندما لمحت لها بزواج السيدة ( فاتنة ) ابنتها ، إنها لا تظن أن الزواج دليل فرح يجب ألا يظهره الحزين ، فإن الزواج وال ميلاد والموت كلها أمور لا بد منها فى هذه الحياة فيجب ألا يمنع حدوث أحدها حدوث الآخر . وبالطبع لن يكون شئ ليلة الزواج مما يدل على المرح . ولا أرى موجبا لاخبار أهلى ، فانهم يعرفون بمن سأزوج ، وهم يقدرون شرف الأسرة قدره ، وسيسرهم النبأ ولا شك .

٢٨ ديسمبر - اليوم قابلت السيدة ( فاتنة ) لأول مرة وتذكرت كل حسنات صديقى المرحوم ، وقد أصبحت زوجى ولا ينقصنا التسجيل الاتفاق ، ولا يمنع ذلك من أن أحادثها على ما أرى ، وإن حديثها جميل ، يذكرنى

بحديث صديقي. إنى لا أقدر أن أَرْضَى عن ذلك المجتمع الذى  
 سلبنى اعز صديق، وما كان اخى محمد الا ضحية من ضحاياه  
 انظر حولى فأرى ناحيتين، ناحية فيها الشقاء للقاتل  
 والاخرى فيها الطرف المفسد، ناحية فيها الكرم وعلو  
 النفس والايشار، والاخرى فيها الجهل والدناءة وحب  
 الذات، وإن السائد فى هذا المجتمع وبالأأسف، فريق  
 الجهل، فريق الدناءة، فريق حب الذات، ألا رحمك الله  
 يا صديقى، ولا بد من العدل ولو بعد حين.

« كلمة للسيدة فاته اخت المرحوم » (محمد)

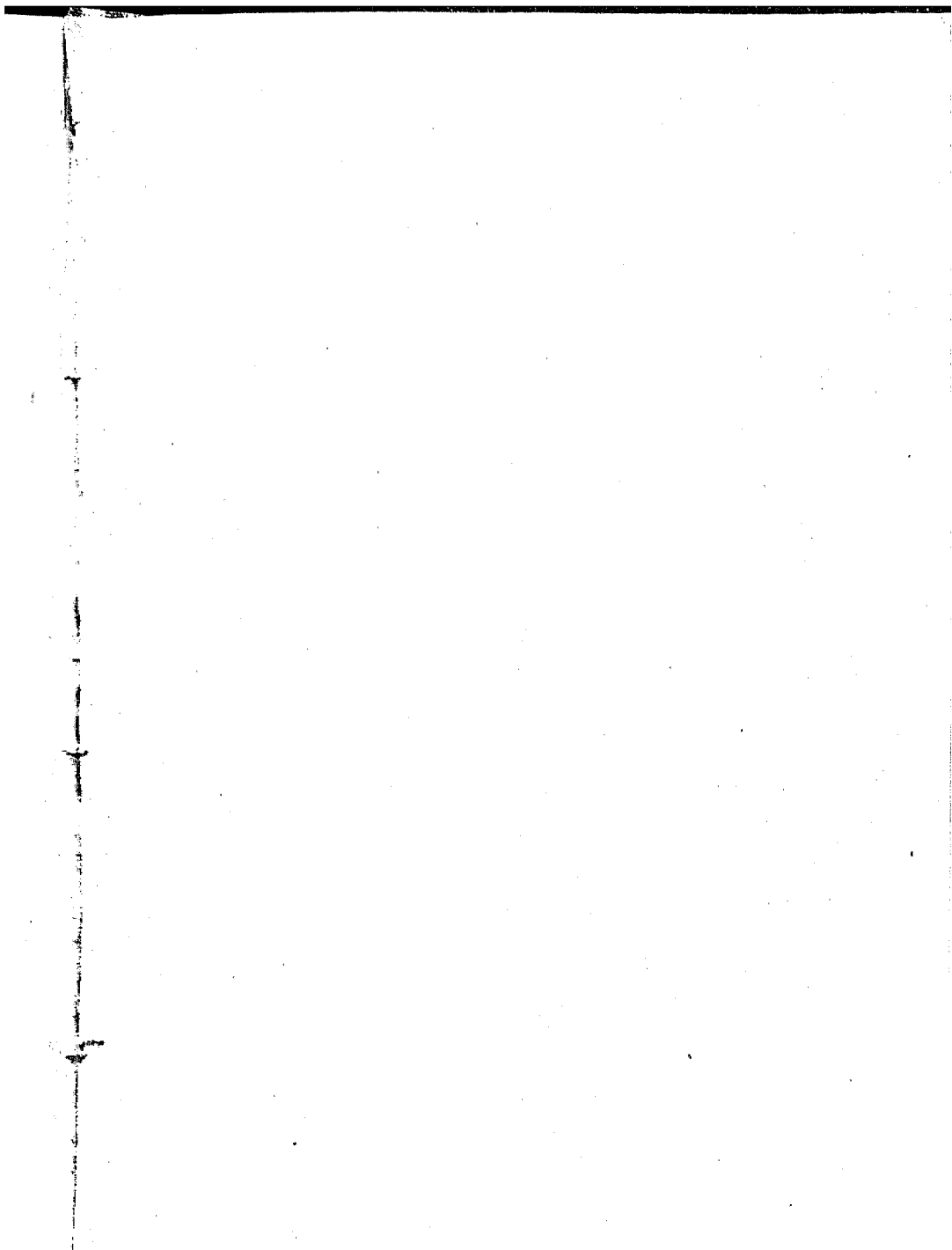
٣١ ديسمبر - انتهت حياة حبيب كان اعز على من نفسى  
 حياة اخى المحبوب « محمد ». لقد كان لا يفكر إلا فى امر  
 واحد وهو إسعاد امه واخته، ولكنه لم يوفق الى رؤية  
 ذلك فى حياته، فقضى صريع سعيه.

إننى اذكرك يا عزيزى ولا استطيع ان اجفف عينى.  
 فإن روحك التى كانت تسمى لاسعادنا فى حياتك، قد  
 ذهبت ضحية ذلك السعى، ولكنها لا تزال مشرفة علينا  
 بعد الموت، وهامى اشعر بها ترفرف فوقنا وتغمرنا بحبها

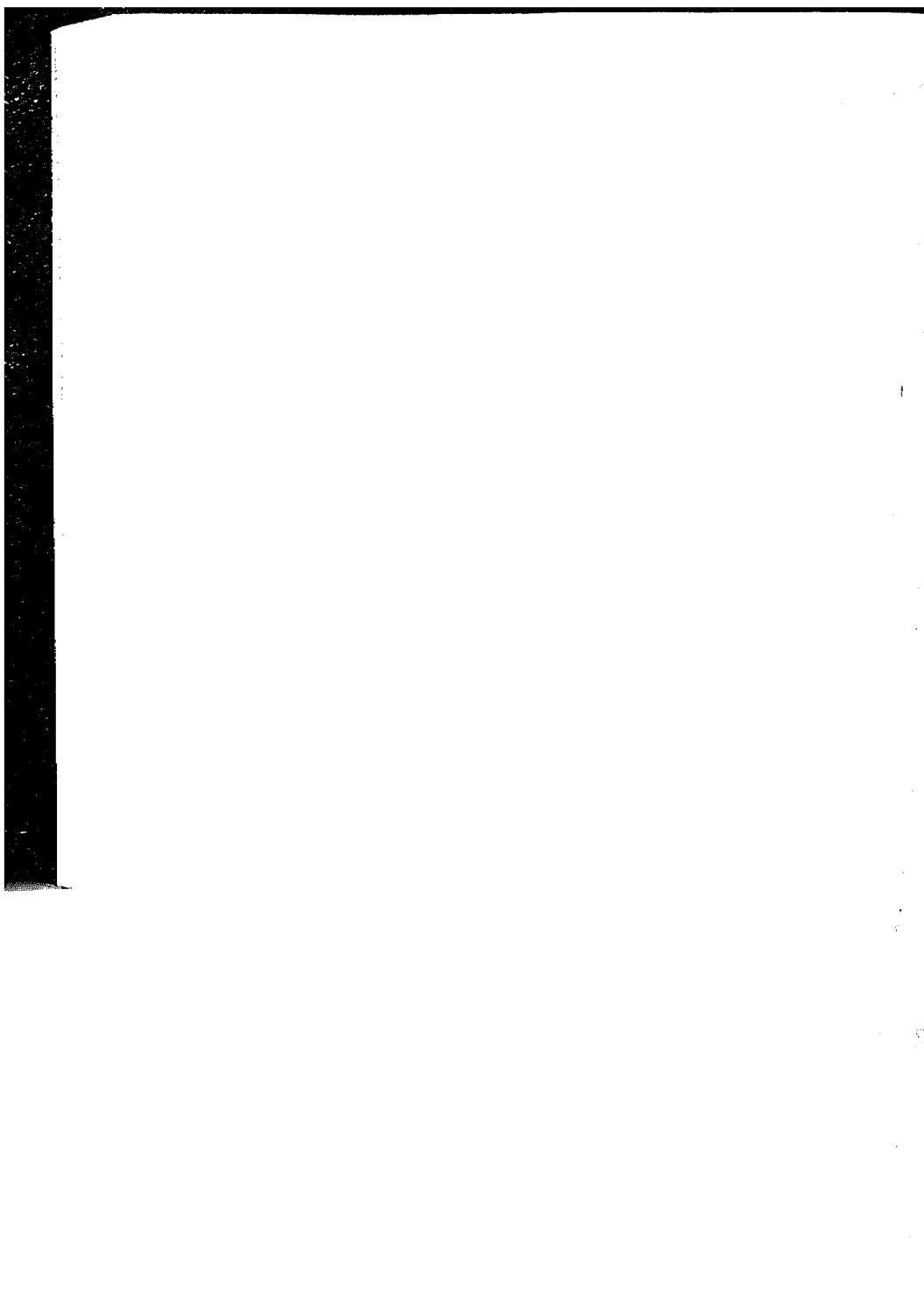
الفياض كما كنت في الحياة . رحمك الله وأعاضك اجرا بعملك  
وسعيك ورحم شبابك الغض ، يا عزيزي ، ويا أخي ويا والدي .  
« كلمة لوالدة المرحوم ( محمد ) »

٣١ ديسمبر . ماذا أقول ؛ لقد مضيت يا بني ، وعزائي  
أني سأمضي على أثرك ولنلتقي ان شاء الله في عالم لا يفنى .  
اني اذكرك فأذكر كل حياتي بين سعد وشقاء ، واذكر  
آلام نفس صغيرة تحملت عبء الحياة قبل ان تذوق لذتها .  
مسكين يا ولدي ، رحمك الله ، ولم يطل بقائي بعدك في  
هذا العالم . اطووا عني هذه السكراسة ، فاني لا اطيعق النظر  
إليها بعده .

---









General Orientation Of the Alexan-  
dria Library (GOAL)

*Bibliotheca Alexandrina*

\_\_\_\_\_

883